وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

الجامعة المستنصرية

كلية الإدارة والاقتصاد

قسم الاقتصاد

المرحلة الثانية

محاضرات في الفكر الإقتصادي

الدكتور

عبد الزهرة فيصل يونس

يُعرَف الفكر الاقتصادي بأنه السرد النظري الذي يُعنى بتحليل وتوصيف الظواهر الاقتصادية من أجل تكوين رؤية شاملة عن هذه الظواهر وتقديم معالجات للانحرافات التي تشوبها. ويثير الاتجاه العام في دراسة الفكر الاقتصادي مجموعة من الإشكاليات ، ويقصد بالإشكالية القضية التي لم يُحسَمْ الجدل أو النقاش حولها بين الاقتصاديين أي هي القضية كما يقول الفيلسوف الألمانيkant (السلب والإيجاب فيها ممكن) ، ويمكن تلخيص إشكاليات الفكر الاقتصادي على الوجه الآتي:-

أولا: ثنائية العلم والمذهب ، وكان الاقتصادي الفرنسي (كاتيان بيرو) أول من ميز بين المصطلحين حيث يقول (يجب التمييز بأقصى ما يمكن بين المذهب والنظرية وبين التقدير والتفسير وبين إصدار الأحكام ومعرفة الواقع)، فالنظرية عنده أي العلم هي تحليل الظواهر بقصد استنباط القوانين التي تحكم سير تطورها , وأما المذهب فيشير الى التقدير الذي يؤدي إلى إصدار الأحكام المتجاوزة للواقع والمتعالية عليه، ويعزز هذا الرأي السيد محمد باقر الصدر(قدس) في كتابه المدرسة الإسلامية حيث يُعرِف العلم بأنه معرفة ما هو كائن , في حين يرى في المذهب البحث عما يجب أن يكون. ومعرفة ما هو كائن تحتاج إلى دراسة دقيقة وتحليل علمي للخروج بنتائج يقينية، أما القول بما يجب أن يكون فهو عقيدة وتصور يراد أن يُشكَل الواقع على وفقه , ويُعضِد هذه الرؤية الاقتصادي المصري د.إسماعيل صبري عبد الله الذي يرى بان المذهب هو اقرب إلى العقيدة منه الى التحليل وإعمال العقل أي استخدام العقل في دراسة الظواهر.

ثانيا: اشكالية البُعد التاريخي، أي من أين نبدأ بدراسة الفكر الاقتصادي ،هل نبدأ من الفترة السابقة لعلم الاقتصاد أم نبدأ من ظهور كتاب (إنطوان دي مونتكرستيان) (اقتصاد الدولة) في عام 1615 ,أو مع صدور كتاب (آدم سميث) (طبيعة وأسباب زيادة ثروة الأمم) الصادر في 1776.وفي هذا الخصوص يمكن التمييز بين ما يلي:-

أ- فكر اقتصادي فلسفي أخلاقي يمتاز بإصدار الأحكام دون دراسة متأنية للظواهـــــــر فهو أقرب إلى المذهب منه إلى العلم .وهذا ما يطلق عليه شومبيتر مصطلح (المعرفة الفطرية).

ب- فكر علمي يستند على الاستقراء منهجاً والتحليل أداة لبلوغ المعرفة العلمية.

ثالثاً: إشكالية العلاقة بين الاقتصاد والواقع الموضوعي حيث يرى (كارل ماركس) بان الفكــر (أي فكر) هو انعكاس للواقع الموضوعي على الدماغ، حتى التخيل هو ردة فعل يُحفزها مـــا يجري في الواقع , ويشايعه في ذلك الاقتصادي الأمريكي (جالبرث) الذي يرى بـــــأن الفكر نتاج زماني ومكاني ففي الحقبة العبودية لم تتبلور نظريـــــة للأجور وإنما كان اقتصاد الاكتفاء الذاتي هو السائد ولم تظهر نظرية للأسعار ، بمعنـى إن الواقع هو الذي ينتج الأفكار وما دام هذا الواقع متغيراً فالفكر أيضاً يتغير تبعاً لتغيـــره ,ورغم ان الفكر الاقتصادي كان مشغولا بالمستقبل الا ان (كينز) يَشذُ عن هذا المسار بقوله :(في الأمد الطويل كلنا نكون في عِداد الأموات) وهذا يعني إن الفكر الاقتـــصـــادي يجب أن ينشغل بتحليل الواقع القائم فعلاً لأن تحصيل اليقين المطلق يظل امرا عسيرا ، فلو أستـــطاع إنسان ما أن يمتلك اليقين بخصوص المستقبل في عالم يلفه الغموض لما كان مـــــــن الموضوعية إن يعطيه لأحد بل سيحتكره لنفسه لأن اليقين في عالم الشك ثروة يستثـــمرها صاحبها لتعظيم أرباحه. ولكن لو عدنا إلى (آدم سمث) لوجدناه يتحدث عن قوانيـــــــــن اقتصادية هي أشبه بالقوانين الفيزيائية لا تحتاج منا إلا إلى إعمال العقل من أجل اكتشافها ويناصره في ذلك الاقتصادي الأمريكي الشهير (ساموسلسون) الذي قال بنظرية إعادة البناء العقلانـــــي وفحواها إن أفكار الاقتصاديين الراحلين يجب إعادة دراستها وتصويب الأخطاء فيـــها على ضوء المنطق الحديث لكي تشكل ثروة نظرية للمشتغلين في علم الاقتصاد.

بعد استعراض هذه الإشكاليات يمكننا تقسيم الفكر الاقتصادي إلى مرحلتين هما:-

أولا:- المرحلة الفلسفية: وتبدأ مع الفيلسوف اليوناني (ارسطو) (322-384ق.م) الذي عـــــاش في القرن الثالث قبل الميلاد حيث كان يسود الاقتصاد العبـــــودي لذلك احتلتْ عدة قضايا حيزا في انشغالاته الفكرية منها:-

اولا:- قضية العبودية التي انصب جهده علـــــى تبريرها إذْ رأى بـــان العبيد أدنى منزلة من الأحرار وهم في مستوى الحيوانات المُستأنسة لذلك لابد من حكمـــهم من قِبَل أسيادهم ، ولكنه ميز بين نوعين من العبودية هما:-

1- العبودية الطبيعية أي عبودية الأجانب من الأسرى .

2-العبودية المُصطنَعة وهي استعباد المواطنين الأحرار نتيجة عجزهم عن تسديد ديونهـــم.

ثانيا:- قضية النقود حيث أفتى بمشروعية استخدام المعادن كنقود وخَتمِها مَنعاً للتزييف ،ولكنه كان يرى بان وظيفتها يجب ألا تتجـــاوز تسهيل التبادل بين الناس فهي عقيمة بطبيعتها وإن أية زيادة تؤخذ عن إقراضها تُعَد مـــــن قَبيل الربا الذي هو عمل غير أخلاقي ، يقول في هذا الخصوص: (أبغض شيء في كســــــب النقود هو الربا).

ثالثا:- قضية الملكية الخاصة التي رأى فيها قضية جوهرية تنبع من حـــــب الإنسان لذاته وهو شعور تغرسه الطبيعة في البشر وتتوقف الحرية على استخدامه, إذْ لا إختيار مع غياب الملكية الخاصة وهو بذلك يتقاطع مع قناعة أستاذه (أفلاطون) (348-428ق.م) الذي قال بالشيوعية حيث قسم المجتمع إلى ثلاث طبقات هي:-

1.الحاكم الفيلسوف.

2- طبقة الجند الذين يتم اختيارهم من الشباب وهؤلاء مع الحكام تكون الملكية بينهم مـــــن الأموال والنساء مشاعيةً إذْ لا يجوز أن يمتلكوا أرضاً أو بيتاً أو أسرة لأن الملكية الخاصة تتقاطع مع مسؤوليتهم الاجتماعية.

3- طبقة المنتجين وهؤلاء يسمح لهم بملكية الأشياء ملكية خاصة.

رابعا :- القيمة وهي قضية علمية استمر النقاش بين الاقتصاديين حولها حتى بدايات القرن التاسع عشر، فقد ميز (أرسطو) بين نوعين من القيمة هما:-

1-القيمة التبادلية :- أي النسبة التي تُقايَض بها سلعة مع سلعة أخرى، أي السعر.

2-القيمةالاستعمالية:- التي تساوي المنفعة (عدد وحدات الإشباع).

ولم يَزدْ الاقتصاديون على ما قاله (أرسطو) في هذا الخصوص.

خامسا :- قضية منزلة المرأة التي رأى أنها أدنى من منزلة الرجل لذلك يجب ان تُحكَم من قِبله.

والمفكر الآخر الذي يشكل علامة فارقه في هذه المرحلة هو (اكسينوفون) (355-440)ق.م وهو من السفسطائيين . تطرق هذا الفيلسوف إلى قضيتين مهمتين هما :-

الأولى:- هي علاقة الحجم بالرفاهية إذْ يقول بان المدينة الكبيرة هي أكثر رخاءا من المدينة الصغيرة لأنها توفر إمكانيات التخصص المهني ،وهو يرى بان مصادر الرخاء في المدن الكبيرة تتحدد بالآتي:-

1- ازدهار الزراعة في المناطق المحيطة بهذه المدن.

2- مناجم المعادن الثمينة كالفضة مثلاً التي يمكن استغلالها من قبل سكان هذه المدن.

3- التجارة والسياحة.

الثانية:- العلاقة بين السلام والرفاه ، فالدول التي لم تَشهدْ حروباً لفترة طويلة أكثر رخاءاً من الدول التي أُبتليتْ بهذه الحروب.

المدرسة الرومانية

تَصدَتْ مجموعة من الفلاسفة والمفكرين ورجال الدين لتفسير وتبرير محددات النشاط الاقتصادي واستنباط قوانينه في العصر الإقطاعي (العصور الوسطى) ، سُميَ مَجمعُهم ب (الإسكولائيين - المَدرسيين) او اللاهوتيين في القرون الوسطى يتزعمهم القديس (اوغسطين) . ويمكن اختصار الفكر الاقتصادي لهذه المدرسة بالشذرات التي تركها (توماس اوكسينوس) الملقب ب (توما الأكويني) (1225-1274م) ،وهو مواطن

فرنسي ولد في ايطاليـا تتمحور رؤيته حول فكرة العدالة الإلهية التي يرى انها يجب أن تسود لتنظيم شؤون الحياة بصورة عامة والاقتصادية بوجه خاص ، وقد أكد على المبـــادئ الآتية:-

1-السعر العادل:- إذ يرى أن بيع شيء بسعر أعلى مما يستحق أو شرائه بسعر أرخص يُعـَـد سلـــوكاً غير عادل ولا قانوني ولكنه لم يُصرحْ بتعريف واضح للسعر العادل الذي باعتقادنا يمكن استنباطه من رسالته اللاهوتية بوصفه السعر الذي يتناســب مع القدرة على الدفع لدى غالبية السكان.

2-يقسم توما الاكويني التبادل إلى نوعين هما :-

أ-التبادل الطبيعي:- كمبادلة الأشياء بالنقود.
ب-التبادل غير الطبيعي:- كتبادل النقود بالنقـــود، فيذهب الى ان الزيادة التي تؤخذ من المُقتَرِض هي رباً غير محمود ، وهو مرفوض شرعاً ذلـــــك لان النقود تُستَهلَك بمجرد الاستعمال على وفق اعتقاده دون ان ينتبه الى تشابهها في ذلك مع سلـــــع أخــرى كالحنطة مثلاً كما أنه لم يأخذْ بنظر الاعتبار إن للنقود وظيفة أخرى هي الادخـــــــار كونها مخزنـاً للقيمة .

3-يرى توما الاكويني بان الحياة السليمة تتطلب ان تؤدي كل طبقة دورها والتزاماتها اتجـــاه المجتمع وفقاً لأحكام الشريعة ونواميس الطبيعة وهو في ذلك يبرر ربط الفلاح بالأرض وضرورة احترام الفلاحين لسادتهم الإقطاعيين.

4-يستنكر توما العمل المربح أي العمل من أجل الربح خاصة التجارة.

أما المفكر الاسكولائي الآخر هو **(نيكولاس اوريزم)** (1320-1382) حيث أكد هذا المفكر والتاجـــــــــــر والدبلوماسي في بلاط الملكة البريطانية (اليزابيث)على أفكار حيوية نوجزها بالآتي:-1- فلسفة النقود ،إذْ يرى إن سك الذهب والفضة والنحاس هي بديل للوقت المُضاع والمُمِل الذي يُنفَق على وزنها، وعلى الأمير أن يتبنى مهمة سك النقود ووضع ختمه عليها لتحقيق الفوائد الآتية:-

أ-توفير الثقة اللازمة لاعتمادها من قبل الناس . .

ب-منع التزييف والتلاعب بالأوزان والنقاوة. .

ج- الحد من الكسب غير المشروع باستخدامها،إذ يقول ان (تهريب النقود عادة وضيعة وان حجبها عن التداول عادة سيئة ،أما أخذ الربا عنها فانها عادة أكثر سوءاً).

2-كان من انصار المَعدنَين الذهب والفضة حيث وضع مقياساً لتبادلهما وهو :-

أ- (1) وزنة ذهب = (20) وزنة فضة . .

ب- (3) وزنة ذهب = (25) وزنة فضة ، فكلما زادت الكمية من الشيء انخفضتْ قيمتة.

3- يرى (اوريزم) ان النقود الرديئة تطرد النقود الجيدة من السوق اي مع وجود النقـــود النحاسية سيلجأ الناس الى اكتناز النقود الذهبية ويكتفون بتداول النقود النحاسية والفضية وهو في ذلك قد سبق (كريشيام) في تشخيص هذه الحالة ، وفي هذا الخصوص يقــول الاقتصادي الامريكي (جالبرث) (تلك أسوء الحالات التي تُنسَب فيها الإنجازات الى غير أصحابها).

المدرسة الميركانتيلية (التجارية)

نشأتْ هذه المدرسة وتطورتْ على امتداد ثلاثة قرون، من منتصف القرن الخامس عشر الـــى منتصف القرن الثامن عشر، وانتهتْ مع بدايات الثورة الصناعية وصدور كتاب آدم سمـــيث (ثروة الامم) واستقلال الولايات المتحدة في 1776، وهي نتاج عقول مفكرين كبار وموظفين ورجـــال دولة.جاءتْ هذه المدرسة استجابة الى مجموعة من التطورات على الصُعد الاقتصادية والفكرية والاجتماعية والتي يمكن إيجازها كالآتي :-

1- الاكتشافات الجغرافية وفي المقدمة منها العالم الجديد في أمريكا وكندا وجنوب إفريقيا ومـــا صاحب هذه الاكتشافات من تدفق هائل للمعادن الثمينة على الدول الأوربية خاصة أسبانيا التي أصبحتْ مركزاً لسك النقود وتصديرها للبلدان الأخرى.

2- انتشار التجارة والنشاط التجاري على مساحات واسعة من الكرة الأرضية.

3- بروز شخصية التاجر الذي تحول من رجل مذموم الى حاكم فعلي مع تأسيس الدولة القومية.

4- ظهور الكيانات السياسية القومية وتعزيزها لدور التاجر، و يرى الاقتصادي والمـــــؤرخ السويدي -أولن- المتوفى سنة 1952 (ان خدمة مصلحة التجار والخضوع لها كان الاتجـــاه الطبيعي للدولة القومية ،فالتجار هم الذيـــــــن يزودون الدولة بالموارد الاقتصادية التي تدعم سلطتها في الداخل والخارج).

5-التحول في الفكر الديني مع ظهور المذهب البروتستانتي الذي حَللَ العمل التجاري فلم يَعِـدْ العمل في التجارة مانعاً من دخول الجنة كما انه أضفى المشروعية على استيفاء الفائـــــدة على القروض الاستهلاكية والاستثمارية اذا كانت معتدلة ، كذلك إباحة تمويل المشاريع عن طريق القروض .**اما أهم مبادئ هذه المدرسة فهي :**

1-مشروعية الاحتكار، فمن الطبيعي ان تكون الأسعار شديدة الارتفاع ومن غير الطبيعـــي ان تكون الأسعار شديدة الانخفاض.

2-ضرورة تدخل الدولة لحماية الإنتاج المحلي من خلال:

أ-فرض القيود الجمركية على الاستيرادات.

ب- منح براءات الاحتكار لجميع السلع المنتجة بما في ذلك التافهة منها مثل ورق اللعب.

واستمر هذا القيد حتى خُفِفَ على وفق القانون الصادر عام 1623في عهد الملك البريطاني (جيمس الأول) .

3-التأكيد على فكرة الميزان التجاري الفائض أي يجب الحرص على ان تكـــون الصادرات أكبر من الاستيرادات وهذا يقتضي ترشيد الاستهلاك الداخلي.

وأخيراً يمكن القول ان أبرز رموز هذه المدرسة هم (انطوان دي مونتيكر ستيان) صاحب كتاب اقتصاد الدولة وهو فرنسي وايضا (هورنيك النمساوي وتوماس مان الإنكليزي).

<u>الفكر الاقتصادي لإبن خلدون (1332-1406) :</u> عاش المفكر الإسلامي ابن خلدون في القرن الرابع عشر الميلادي وهي فترة مضطربـــة في تاريخ البلاد الإسلامية

حيث كانت الدول تُبنى فيه على أساس قَبلي كما هو الحال مع الدولة الأموية والعباسية والفاطمية ،وشَدَ أنظاره تعاقب الأسر الحاكمة فخرج علينـــا بنظرية ناضجة عن العمران البشري وهي تتطابق اليوم مع مفهـــــوم التنمية الاقتصادية .والآن ما الذي تركه ابن خلدون خالداً في الفكر الإنساني ،وفي هــذا الخصوص نستطيع أن نُشخص إنجازين كبيرين هما :-

1-القطيعة الفكرية التي أحدثها مع الفكر اليوناني الإفلاطوني الآرسطي ، فلم يَعِدْ العـــالم بالنسبة له تصوراً ذهنياً بل حقيقة واضحة ملموسة.
2-من الناحية المنهجية خرج من إطار المنطق الصوري وتَبني المنهج الإستقرائي والذي يرى بان المقدمات الكلية ليست بديهية ولا ضروريـــــــة (بمعنى حتمية) ولا يقينية بل هي أحكام نسبية تُستمَد من الخبرات والتجارب الانسانية التي قـــد تتغير تبعا لتغير الزمان والمكان ف (العِلم الحق هو الذي يستمد حقائقه مـــن الأشياء الجزئية المُتعَينة بأشخاصها فـــــي الخارج لا من الكليات المُقدَرة في الذهن) ،أي ان المعرفة يمكن الحصول عليها بالانتقال من الجزئي الى الجزئي وهذا ما يسميـــه الفقهاء بقياس الغائب على الحاضر أو على الشاهد . وتُقسَم المعرفـــــة على وفق الاستقرائيين الى نوعين هما:-

1- معرفة دينية لا حاجة لنا باستخدام المنطق في تحصيلها إذ يمكن الاعتماد فيها علـى الكتاب والسُنَّة النبوية . -
2- معرفة طبيعية وهذه بطبيعتها تجريبية أكثر من كونها قياسية واستنتاجية، وهذا ما نجده واضحاً عند ابن خلدون الذي يقول (ان قوماً من عقلاء النوع الإنساني زعموا ان الوجود كله تدرك أدواته وأحوالـــــه بالأنظار الفكرية والأقيسة العقلية واعلم ان هذا

الرأي باطل بجميع وجـــــوهه إذْ ان الموجودات التي وراء الحس مجهولة رأساً لا يمكن التوصل ولا البرهان عليها، يُقال فيها بالأخلَق والأولى (يعني الظن) فأي فائدة لهذه العلوم والاشتغال بها ونحن إنمـــا عنايتنا بتحصيل اليقين).

نظرية العمران البشري

ان التحول في المجتمعات يجري بفعل الصراع بين الحضارة والبداوة وبموجب هـــــذا الصراع تتبادل الدول الأدوار على وفق قوة العصبية التي يُعرّفها ابن خلدون بانـــــها رابطة اجتماعية تقوم على الحَسَب والنَسَب ، وعلى العموم يـــؤدي الصراع بين العصبيات الى تأسيس الدول التي تمر كل واحدة منها بثلاث مراحل ،عمر المرحلة الواحدة اثنتا عشرة سنة وهي كالأتي:-

1- **طور النشوء :** ويقوم الحكم فيه على قيّم المشاركة في الثروة والسلطة واسترضاء العصبيات الأخرى بإتباع سياسة مالية عادلة. والنتيجة هي شيوع الرخاء وانتشار الرفاهية ودخول الدولة في طور جديد .وهو في تشخيصه للعلاقة بين معدل الضريبة ومقدارها يكون قد سبق الاقتصادي الأمريكي (لافر) بأكثر من (600) سنة ، فجوهر نظرية -لافر- أحد اقطاب مدرسة اقتصاديات جانب العرض يتمحور حول فكرة : **إن انخفاض الضريبة يـؤدي الى اتساع قاعدة الوعاء الضريبى لأن هـــــــذا الانخفاض يحفز الاستثمار فتكثر الـوظائف وبذلك تحصل الحكومة على إيراد ضريبى اكثرمن السابق .**

2-دور الرقي والعظمة : وفي هذا الطور تحل سطوة المُستَبِد الذي يستغني عن أبنـــاء عصبيته ويستبدلهم بجيش من المرتزقة ، كما ان العصبية هنا تضعف بانتهاء خشونـــة البداوة وشيوع رقة الحضارة وتزداد الحاجة الى المال ويتضاعف الإنفاق فلا بدَ إذن مـــــن أموال عادةً ما يضطر المستبد للحصول عليها إلى زيادة الضرائب والسطو على مـمتلكات الناس فتُقبَض الأيدي عن العمل مما يؤدي الى انتشار المجاعة والإمراض فتدخل الدولة طورها الثالث الذي هو طور الانحلال والضمور.

3- **طور الانحلال والضمور**: إذْ تُهيمن الأزمة الاقتصادية ويعجز الحاكم عـــــن دفع رواتب الجند ويكون الأمر مهيئاً لمجيء عصبية أخرى وتبدأ من جديد المراحل الثلاث للدولة.

إن ابن خلدون سجل لنا بعض الملاحظات المهمة في هذا الخصوص والتي يمكـــــن الركون إليها في تفسير ظاهرة تخلف المجتمعات الإسلامية :-

الأولى:- إن الدولة الجديدة عندما تأتي تهدم كل ما بنته الدولة القديمة وتجبر النـــــاس على العودة إلى قيّم البداوة أما عن طريق القسر او نتيجة القانون النفسي الذي استنبطـــــــه من دراسته للمجتمعات وهو قانون "التقليد"، فالمغلوب يقلد الغالب في قيّمـــه وأفكاره وسلوكه.

الثانية:- ان الدولة الجديدة لضمان أمنها تقوم بنقل العاصمة (التي يسميها الكرســـــي) فتنقل كـل وجوه القوم معها من مفكرين وفقهاء وحرفيين ولا يبقى في العاصمة القديمـــة ســـــوى الرعاع من الناس فيتوقف تقدمها وتبدأ العاصمة الجديدة البناء من جديد.

الثالثة:- على صعيد الصناعة التي لابد لها من رواج ظلتْ استهلاكية وصغيرة وحرفية لعدم توفر الأسواق المُحَفزَة لتوسعها وتطورها حيث شكلتْ الحكومـــة

سوقها الوحيد والتي عادةً ما يستوفي رجالاتها ما يحتاجونه مجاناً إذ يتقرب النـــاس اليهم بالعطايا، فضلاً عن إن الزراعة شَكلَتْ الجيب الأفقر في المجتمع ، فالفلاحون هم أهـــــــل الخَصاصة أي العوز فنتيجة الضرائب المفروضة عليهم لم يستطيعوا من تطوير إنتاجهم الزراعي.

وهكذا يُشخص ابن خلدون ثلاثي التخلف بـ (البداوة الرافضة للتَمثل والبناء على صنائع السابقين والإفقار المـــولّد للكساد وعدم الإستقرار الناجم عن التعاقب الحتمي للدول الحاكمة).

أما المساهمة الأخرى لـ ابن خلدون في الفكر الاقتصادي فهي تمييزه لأنواع السلع الاستهلاكية إذْ حددها بثلاث :-

1-سلع ضرورية لا تختص بها طبقة بل هي للفقراء والأغنياء معاً.

2-سلع كمالية يختص بها الأغنياء فقط .

3-سلع وسيطة وسماها بـ(الحاجي) هي اقرب إلى الأغنياء منها الى الفقراء.

مدرسة الفيزوقراط(الطبيعيين)

بَقيَ الاقتصاد الفرنسي زراعي الطابع رغم ظهور طبقة تجارية رأسمالية في القـــــرن الثامن عشر، فالذي يربط بين الفرنسيين والزراعة رابط روحي ، وتمتعتْ المنتجات الزراعية الفرنسية بسمعة طيبة في السوق الدولية مثل الجبن والنبيذ وهذا أثرَ على تمسك المفكريـــــــــن الفرنسيين بالزراعة واعتبارها المصدر الوحيد للثروة . يقول الاقتصادي والمفـــكر الفرنسي (تورجو) والمتوفي سنة 1881 بـ (ان الرعي والزراعة هم ضرعا فـــــــرنسا الحَلوبين)، فضلا عن ان المصالح الزراعية ممثلة بمصالح كبار المُلاك بَقيتْ هـــــــي المهيمنة على الحياة السياسية والاجتماعية الفرنسية ، وقد أخلص كبار مفكري فرنسا مـــــن فلاسفـــــة عصر النهضة من أمثال - فولتير و كوندرسيه وجان جاك روسو- في القرن الثامن عشر للزراعة والنشاط الزراعي وهم الذين أصّلوا فكرة الارتبـــــاط بالطبيعة عنـــــد الفرنسيين ،**وقد أطلق المؤرخون الاقتصاديون لفظ الفيزوقراط علـــى مجموعة مـــــــن المفكرين الفرنسيين الذين يعتقدون بسيادة دور الطبيعة في الحيـــاة الإنسانية** وهـــــؤلاء المفكرون هم:-

1-فرانسوا كينيه المتوفي سنة 1774 والذي كان طبيباً للملك (لويس الخامس عشر)، فهو لم يهتم بالمسائل الاقتصادية إلا في وقت متأخر من حياته أي في سن الثانية الستيـــــن.

2-تورجو المتوفي سنة 1881 .

3-دي نيمور المتوفي سنة 1817 الذي جمع أعمال (فرانسوا كينيه) في كتاب سمـّــاه (الفيزوقراطية).

مبادئ الفيزوقراطيين

1-ان القانون الطبيعي هو القانون الأسمى الذي يجب ان يُستمَد منه وينسجم مع مبادئه قانون الملـــــــوك،وهذا القانون يقتضي عدم التدخل في شؤون البيع والشراء والملكيـــة والتجارة، وتُشكل هذه المبادئ الخلفية الفكرية لشعار –(فنسنت دي جورناي) (دعه يعمل .. دعــه يمر).

2-ان مصدر الثروة هو الزراعة فالتجار يشترون ويبيعون المُنتَج الزراعي ،والصناعـــة لا تضيف شيئاً لهذا المُنتَج سوى قوة العمل، إذْ إن الصناعة التحويلية محدودة بمصدرهـا الزراعي وهذا ما وضحه (فرانسوا كينيه) في جدوله الذي يمكن تصويره على الوجـــه الآتـــي:-

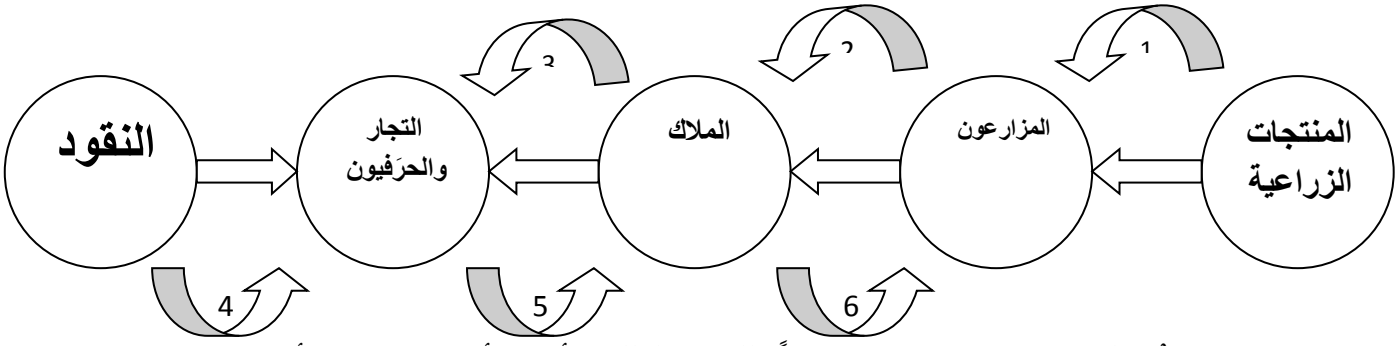

3- ما دامتْ الصناعة لا تضيف شيئاً للناتج لذلك فأن الأسعار يجب أن تعكس التكاليـــف الإنتاجية كما إن الأجور يجب ان تتحدَدْ عند المستوى الذي يوفر للعامل الحد الادنـــــى الضروري للبقاء.

4- يرى(فرانسوا كينيه) بأنه ما دامتْ الزراعة هي المصدر الأساسي للثـــــــــــروة الاجتماعية لذلك يجب ان تكون الضرائب المفروضة عليها معتدلة مع إعفاء المهن الأخـــرى من الضرائب بسبب كونها عقيمة ولكن هذا سيقود بالنهاية الـــى انخفاض اسعار المنتجات الزراعية. .

وفي تقييم (ميرابو) وهو من الفيزوقراطين لجدول (فرانسوا كينيه) عدّه بـــــــجانب

اختراع النقود و الكتابة من المنجزات العظيمة للعقل البشري ولكن آدم سمث إستخف به.

آدم سمث(1723-1790)

يعتقد مؤرخو علم الاقتصاد بان الفكر الاقتصادي العلمي بدأ مع (آدم سمث) الذي ولد عام 1723 في مدينة كيركالدي في اسكتلندا لأب كان يعمل مُحصلاً كمركياً ، عاش في بدايات الثورة الصناعية في انكلترا واسكتلندا عندما جاء الحرفيون من مزارعهم الى المدن واستثمروا من قبل أصحاب رؤوس الأموال الذين أنفقوا أموالا كثيرة في صناعة العدد والآلات ،ومع هذا يمكن القول بانه لم يُشاهدْ المعالم الحقيقية للثورة الصناعية.

عمل -آدم سمث- أستاذا للمنطق ثم الفلسفة الاخلاقية في جامعة (كلاسكو) ،وصدر أول كتاب له عام 1759 وهو (نظرية المشاعر الأخلاقية), وسافر الى فرنسا وبدأ هناك بزيارة رموز المدرسة الفيزوقراطية والتذاكر معهم وقد أعجب بـ (كينيه) وتأثر بأرائه خاصة فكرته عن القانون الطبيعي, بدأ عام 1766 بتدوين كتابه الرائد (زيادة ثروة الأمم) وظل يعمل به عشر سنوات إلى أن أكمله بعد عودته الى انكلترا عام 1776.توفي عام 1790 . يتألف الكتاب من ثلاثة أقسام ، شرح في القسم الأول دوافع النشاط الاقتصادي وشرح في القسم الثاني السياسات العامة للدولة وشرح في القسم الثالث نظرية التوزيع.

القسم الأول:- دوافع النشاط الاقتصادي

يرى (آدم سمث) ان المصلحة الذاتية هي الدافع الاساسي للنشاط الاقتصادي وبسببها تتحقق المصلحة العامة ، يقول في هذا الخصوص (اننا لا نتوقع غذاءنا من إحسان الجزار او الخباز وإنما نتوقعه من عنايتهم بمصلحتهم الخاصة).

القسم الثاني:- التوزيع

لا يميز (آدم سمث) بين القيمة الاستعمالية والقيمة التبادلية فهو قد أهمل الاولى وركز على الثانية اذ يرى بان قيمة الشيء تُقاس في نهاية الأمر بكمية العمل المبذول لإنتاجه, وعندما واجه قضية توزيع الأنصبة من الناتج على مستحقيها وقع في ضبابية وغموض فرأى بان الاجور هي كلفة ابقاء العامل حياً على قيد الحياة ولكنه لم يميزْ بين الريع والفائدة الذي كان له فيه ثلاثة أراء هي:-

1-ان الريع عامل من العوامل المحددة للسعر بجانب الربح والاجور.
2-ان الريع هو ما يتبقى من الدخل عندما تُستوفى الأجور والأرباح.

3-ترتبط البقية (بعد دفع الأجور والأرباح) بنوعيه الارض اذ يزداد الريع بمقدار جـــودة المرعى .

إذن نستنتج بان (آدم سمث) يرى في الريع نصيب الارض الذي يزداد بزيادة خصوبتها.

القسم الثالث:- السياسة العامة للدولة

يرى (آدم سمث) بان الدورالحكومي يجب ان يتحدد بالدفاع عن البلاد وحماية الأمـــن الداخلي والعدالة والقيام بالاشغال العامة الضرورية ،فهي ليستْ اكثر من كونها جندياً وشرطياً وجابي ضرائب.

والجانب الآخر في السياسات العامة الذي أكد عليه هو حرية التجارة والذي استمد رأيه فيه من (وليام بتي) المتوفي عام 1687 و(دايفيد هيوم) المتوفي عـــــــام 1776.

الثروة والعمل والتجارة الخارجية

يرى (آدم سمث) في هذا الخصوص بان (العمل السنوي لكل أمة هو المصدر الـــــذي يزودها ابتداءً بكل ضروريات الحياة ووسائلها) أي ان العمل هو الذي يخلق الـــــثروة والتي هي دالة في كميتها ونوعيتها للمهارة وحسن الأداء الذي هو دالة بـــــــــدوره للتخصص وتقسيم العمل والذي يمكن ان توفر له التجارة الخارجية فضاءً اوسع لابد لإدامته من إزالة القيود المفروضة على المعاملات الاقتصادية الدولية وضمان حرية التجارة بين الدول المُتشاركة .

بنتام جيرمي(1748-1832)

مؤسس جامعة لندن وخريج جامعة أكسفورد ،ولِدَ عام 1748 وتوفي عام1832.تأثـــر هذا المفكر والفيلسوف بالفيلسوف الانكليزي (دايفيد هيوم)الذي يقول (أن كل الأفكـــار مستخرجة من الانطباعات ومن ثم فان السلوك البشري في نهاية الأمر ليس سوى خبرة الحواس أكثر منه نتيجة للمنطق والعقل).
يتلخص مذهبه الرئيسي بالمتعة (Hedonism) الذي ينص على (أن ما هو طيب لا

بـــــــد بالضرورة أن يكون ممتعاً فالهدف الوحيد في الحياة ينبغي إن يكون هو سعي الفـــــرد نحو أكبر قدر مـن المتعة والسعادة) ، ويعتقد بان سلوك الأفراد والإجراءات الحكوميـــــة ينبغي أن توجَـــــــه لتحصيل السعادة لأكبر عدد من الناس ، ومن أجل أن يُضفي طابعــاً حسياً على مذهبـــه أختار النقود لكي تكون مقياساً للسعادة المنشودة ،وبالعكس من سابقه (آدم سميث) لـــم يعتقدْ بالتطابق بين المصلحة الخاصة والمصلحة العامة فيقول (ليس من الضـــروري أن يربط الناس مصالحهم الذاتية بالمصلحة العامة).

<u>ومن المبادئ التي أكد عليها واصبحتْ أسس دولة الرفاه في الوقت الحاضرهي:</u>

1- ضرورة توفير رجال الأعمال للتأمين الاجتماعي على الحياة.

2- إقراره لمبدأ التعليم الإلزامي.

ويُعَد (بنتام جيرمي) من الشخصيات المؤثرة على الاقتصاديين الكلاسيك وفي مقدمتهم (جيمس مِلْ) الذي قدمه الى مجموعة الفلاسفة الراديكاليين*.

***الفلسفة الراديكالية هي فلسفة سياسية تؤكد على الحاجة للبحث عن مظاهر الجوروالظلم في المجتمع واجتثاثها.ومصدر كلمة راديكالية هو الكلمة اللاتينية(Radix) وتعني الجذر او الأصل ، فالرادكاليون يبحثون عما يعتبرونه جذور الأخطاء الاقتصادية والسياسية والاجتماعية في المجتمع ويطالبون بالتغيرات الفورية لإزالتها .**

المدرسة الكلاسيكية

الاقتصاديون الكلاسيك مصطلح نَحتَهُ (كارل ماركس) ليطلقه على (ريكـــــــــاردو وجميس مل وأسلافهم آدم سمث وسيزموندي) أي على مؤسسي النظرية التي تَجسدتْ في علم الاقتصاد الريكاردي، ولكن كينز يقول :(إعتدتُ ربما عن خطأ على إدخـــال أتبـــــــــاع ريكاردو ضمن المدرسة الكلاسيكية مثل جون ستيورات مِلْ و مارشال وادجـــورث والبروفيسور بيجو).

ومن أجل فهم أفكار هذه المدرسة والترابط بين أراء مفكريها نبدأ بالاقتصادي الفرنسي (جان باتِستْ ساي) .

1- الاقتصادي الفرنسي جان باتِستْ ساي(1767-1832)

ولِدَ الاقتصادي الفرنسي (ساي) في عام 1767 وتوفي عام 1832 ، كـان رجل أعمال ثم أصبح أستاذا للاقتصاد السياسي في كلية (ديفرانس) ، تدور أفكاره حـــول ركيزتين أساسيتين هما:-

أولا:- تمجيد دور المنظم الذي هو الرجل القادر على رؤية الفرصـــــــة الاستثمارية واستغلالها لأنه على وفق اعتقاده يمثل القوة المحركة للتغيير.

ثانيا:- القانون الشهير الذي ينص على (**إن العرض يخلق الطلب المساوي له)** وهو ما يعرف بقانون المنافذ والأسواق ،ففي رأيه إن عوائد الإنتاج تكفي لشراء الناتـج المتحقق وتبعاً لذلك لا يمكن تصور وجود نقص في الطلب الكلي، فقد يدخر بعـــــض الأفراد جزءاً من دخولهم ولكنهم سيستثمرون هذه المدخرات في النهاية وبذلك يبقـــى تيار الإنفاق متدفقاً وحتى لو اكتنزوا فالحصيلة تكون تعديل الأسعار لنفسها نـــــزولاً لتتكيف مع التدفقات الدنيا للدخل. ورغم معارضة رجال الأعمال الفرنسيين لقانونه بَقيَ مصـراً عليه إلى النهاية.

2- روبرت مالثوس

ولد (روبرت مالثوس) عام 1766 وتوفي عام 1834 ، كان رجلاً متديناً إرستقراطـــي النزعة ،عمل موظفاً في شركة الهند الشرقية ومن ثم مدرساً في كلية هاري بيري التابعة لها، ْأصدر كتابين هما (بحث في مبادئ السكان) و(مبادئ الاقتصاد السياسي) حيث يقول في كتابه الأول : ان السكان يتزايـــدون على وفق متوالية هندسية في حين يزيد إنتاج الغذاء على وفق متوالية عدديـــــة وإذا استمرتْ

الأحوال على حالها فسيجد الناس صعوبة في استيفاء حاجاتهم من الغذاء لذلك لابد من روادع تقلل من معدلات النمو السكاني وهي على نوعين:-

أ - الروادع الايجابية:- مثل الموت, الكوارث الطبيعية, المجاعات...الخ.

ب - الروادع السلبية:- مثل العِفَة , تحديد النسل ,تأجيل سن الزواج او الامتناع عنه .

أما سبب اعتقاده بفجوة الغذاء فهو عدم رؤيته لقدرة التطور التكنولوجي على تعجيـــل معدلات نموالإنتاج الزراعي .

لقد كان مالثوس من المعارضين لقانون المنافذ والأسواق فهو يعتقد بان فقر العمال يقود إلى نقص القدرة على الاستهلاك ولكنه يرى بان الوضع يتحسن جزئياً لوجود طبقة غير منتجة من المستهلكين هم رجال الدولة والجنود والقضاة والمحامون والأطباء بالإضافة إلى الخدم.

3- دافيد ريكاردو

ولد (دافيد ريكاردو) عام 1772 وتوفي عام 1823 في هولندا،اشتغل في سوق الأوراق المالية سمساراً واشترى له كرسياً في البرلمان الانجليزي ،كان منهجـــه استدلالياً نظرياً بالعكس من منهج آدم سمث التطبيقي . ويمكن استعراض أفكاره حسب أهميتها كالآتي:-

أولا:- نظرية القيمة: يرى ريكاردو بان المنفعة هي التي تحدد قيمة السلعة فإذا كانت السلعة غير نافعة أي لا تملك قدرة على إشباع الحاجات الإنسانية والحيوانية فليس لها عندئذ قيمة تبـــادلية (سعر) ،إذ إن حجر الزاوية هي المنفعة ولكن كيف تتحدد القيمة التبادلية للأشياء ؟.

يرى ريكاردو بأن هناك عاملان لتحديد القيمة التبادلية هما :-

أ- الندرة :- فالاشياء النادرة تُحَدد أسعارها على وفق ندرتها كما هو الحال في النبيذ النادر أو لوحة فنية لفنان مشهور .

ب- تكاليف الانتاج:- يتحدد سعر السلعة على وفق كمية العمل المبذول في إنتاجـــها.

أما عوائد عوامل الانتاج فتتوزع كالآتي:-

أ- الريع:- وهو ذلك الجزء من انتاج الارض الذي يُدفَع لمالكها مقابل ما تتمتع به التربة من قدرة أصلية غير قابلة للإتلاف (خصوبة الارض) ، ولكن نتيجة زيادة عدد الســكان يزداد الطلب على الغذاء مما يؤدي إلى زراعة أراضٍ أقل خصوبة وهي لا تدرُ غـــير

عائد يسد الحد الأدنى اللازم للحياة وعند هذه النقطة تتحدد أجور العمال، ويعتقـــــــد ريكاردو بان الريع ينشأ ليس بسبب ارتفاع الأسعار ولكنه يحصل بسبب زيادة الطلب علـــى الغذاء وزراعة الأرض الأقل خصوبة.

ب- الأجور:- وهي عنده الثمن اللازم لإبقاء العاملين على قيد الحياة دون زيـــــادة أو نقصان وهو لا يتجمد عند حدود الضروريات فقط وإنما يتضمن وســـائل الراحة التي تصبح أساسية بالنسبة للعاملين بحكم العادة ، وعندما يزداد عـــدد الكادحين نتيجة لتحسن شروط الحياة تنخفض الأجور إلى حدها الطبيعي او إلى ما دون هذا الحد.

ج- الأرباح:- هي العائد على قوة العمل التي استخدِمَتْ في الماضي لصنـــع رأس المال الحالي ,لذلك يرى (ريكاردو) بان أي دخل يتحصل عليه الرأسمالي يُعَد شكلاً من أشكال السرقة. ويوحي هذا النص بالآتي:-

1- ان هناك صياغة جنينية لنظرية فائض القيمة .

2- إن رأس المال هو عمل متراكم او مخزون وهي فكرة تعود (لابن خلدون) (العمل الحي والعمل الميت).

ثانيا:- قانون الغَلَة المتناقصة:- أن عوامل الإنتاج عند (ريكاردو) هي الأرض والعمل ورأس المال، فليس للتكنولوجيا من دور بين هذه العوامل لذلك ينص قانونه في الغلـــة المتناقصة على انه (إذا أضيفتْ عوامل إنتاج متغيرة إلى عامل إنتاج ثابت فان كمية الإنتاج تتزايـــد بمعدلات متزايدة ثم تبدأ الزيادة بالتناقص ثم يحصل التناقص المطلق) كما موضـــــح بالرسم البياني الآتي :-

Figure 1

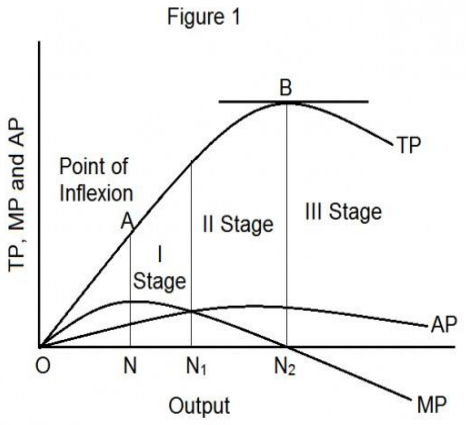

ثالثا:- نظرية التجارة الدولية:- يرى (ريكاردو) بان مشاركة البلدان المختلفة في التجارة توفـــر المنفعة لجميعها. ويجري تحليل ظاهرة التبادل التجاري الدولي على وفق الفرضيات الآتية :-

1- وجود بلدين وسلعتين.

2- ان القيمة تقاس بالعمل المبذول في خلقها.

3-عدم قابلية عوامل الإنتاج للانتقال من بلد إلى آخر.

فاذا توفرتْ هذه الشروط يكون من مصلحة البلد الذي تتوافر له ميزة نسبية بإنتـــــاج السلعتين أن يتخصص بانتاج إحداهن وترك الأخرى للبلد الآخر وتاليا ستتعاظـــــم المنفعة للبلدين .

أخيراً يمكن القول بان (ريكاردو) يُعَد مؤسساً ثانياً لعلم الاقتصاد بعد (آدم سمـــــيـث) لأهمية الإضافات التي أتى بها والمنهج التحليلي الذي ابتدعه.

4 - جون ستيوارت مِلْ

هو واحد من تسعة أولاد للفيلسوف (جيمس مِلْ) ، ولِدَ عام 1806 وتوفي في عـــام 1873 وتعلم اللغة اليونانية في سن الثالثة من عمره واللغة اللاتينية في سن التاسعـــة وتمكن من الجبر والهندسة في سن الثانية عشرة ودرس الاقتصاد في سن الثالثة عشـــر وحرر خمسة مجلدات من مخطوطات (بنتام جيرمي) بين الخامسة عشر إلى الثامنـــة عشر من عمره وأصيب بانهيار عصبي في العشرين من عمره حيث يقول ان شعـــر (word worth) ساعده في الشفاء من مرضه . كتب في عام 1848 كتابه (مبـــادئ الاقتصاد السياسي) وكتب في عام 1859 كتابه (رسالة عن الحرية). وهذا يدل علـــى انه بقيَ مهتما بالشأن الفلسفي حتى نهاية حياته.

أهم أفكاره الاقتصادية

1- كان يعتقد بما أعتقد به (آدم سمث وريكاردو) من أن النظام الرأسمالي سَينتهي إلـى الركود وان أسعار المواد الغذائية ستتزايد مع تزايد النمو السكاني وبسببها سترتفـــــع الأجور وتنخفض معدلات الأرباح مما يؤدي إلى انخفاض الاستثمار والاستخـــــــدام والأجور ليصل الاقتصاد إلى مرحلة الركود ، ولكنه على نقيض سابقَيه اعتقد بان حالـــة الركود تمثل المرحلة الأولى لإشتراكية الخير إذ يمكن في إطارها القيام بجهود الإصـلاح ويمكن للحكومة إن تفرض الضرائب على تركات الأغنياء وان تحرم

مالكـــــي الأرض من الريع التفاضلي كما إن اتحادات العمال تنهي سلطة المصانع التي يمارسها أربـــاب الصناعة وكل هذه الإجراءات ستمنع قيام الثورة.

2.قدم (جون مِلْ) برنامجا إصلاحيا يقوم على المبادئ الآتية:-

أ- التعليم العام والحر والذي من شأنه إن يحد من معدلات النمو السكاني.
ب- تنظيم عمالة الأطفال.

ج- احتكار الدولة لمصادر الثروة الطبيعية ومؤسسات الخدمة العامة مثل (شركـــــات الغازأوالمياه....).
د-تقديم المساعدات للفقراء.
هـ- تقليص ايام العمل وعدد الساعات إذا طلب العمال ذلك.

وبإمكاننا ان نحدد أهم مساهمات (جون ستيورات مل) في الفكر الاقتصادي بتطـــويره لنظرية التجارة الخارجية التي وضعها من قبله (آدم سمث وريكاردو) وذلك من خلال إضافـــة عنصر الطلب الذي تجاهله سابقاه . يقول في هذا الخصوص بان التجارة بين بلدين تعتمد على معـــــدل التبادل بينهما :-

$$م = \frac{\text{سعر السلعة س}}{\text{سعر السلعة ص}}$$

فاذا تساوى معدل التبادل بين البلدين تنتفي الحاجة إلى التجارة بينهما.

5.الاقتصادي سيزموندي

ولِدَ الاقتصادي السويدي سيزموندي سنة 1805، ويُعَد من أهم المفكريـــــــــن الاجتماعيين والاقتصاديين في عصره، بدأ حياته تابعاً ل (آدم سمث) ولكن تطور الثورة الصناعية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وزيارته إلى انكلترا دفعته إلى إعادة تقييم الأفكار التي آمن بها ، فقد انقسم المجتمع آنذاك إلى طبقتين هما:-

1- طبقة السادة المالكين.
2- طبقة البروليتاريا وهي تسمية استعارها من اللغة الرومانية وتعني سكـــــــان المدن . يقول في كتابه مبادئ الاقتصاد السياسي (إن الضرورة تضغط يومياً على العامل الذي ينبغي أن يعمل لكي يعيش في حين ان الرأسمالي يمكن أن ينتظر ويعيش لوقت ما من دون تشغيل عمال) ، ومع هذا لم يَدّعِ ان أزمة النظام ستستمر وتدوم بل ستنفرج بعـد فترة من المعاناة .

ويعتقد سيزموندي بان الاضطرابات الاجتماعية مردها إلى سببين هما :-

1. الفصل بين العمل والملكية الذي تسبب بمساوئ المنافسة وتدهور أحوال المزارعين الصغار والحرفيين مما أدى إلى انتشار الفقر وخلق فجوة بين العرض الكلي والطلـــب الكلي وقد قاد نقص الطلب إلى الركود لذلك اقترح وضعاً جديداً(يمتلك فيـــه العامل بعد فترة الحق بملكية الشركة التي يعمل فيها).

وكذلك اقترح نظام المناصفة في الأرباح بين العمل ورأس المال. كما اقترح جعل صاحب العمل مسؤولاً قانونياً عن إعالة العمال وكذلك المزارعيـــن وأصحاب الأعمال الصغار عندما يكون موسم نشاطهم غير مجزي.

2- الفكر الاقتصادي بوصفه سبباً من أسباب الاضطرابات الاجتماعية فهو قد ساند نظرية ساكنة للتوازن عَملتْ كمخدر اجتماعي باستبعادها تأثير الفقر على عجز الطلب الكلي ، إذ ان المشكلة تكمن (بولع الاقتصاديين بالتجريد) أو (رمي أنفسهم على التجريدات التي تجعلنا نستبعد الكائن البشري من المشهد تماماً). فالاقتصاد بالنسبة ل(سيزموندي) يجب ان يكون علما أخلاقيا وليس رياضياً . يقول(كل تجريد هو خداع دائـــماً) لذلك شكك بفكرة ميزة حرية التجارة إذ يرى إن واردات القمح التي تنتجها أوربا الشرقية عن طريق عمل الاقنان ستكون رخيصة بحيث تقضي على الزراعة في إنكلترا.يقول في هذا الخصوص (ماذا سيحصل لشرف انكلترا إذا كان بوسع قيصر روسيا كلما أراد تنازلاً منها تجويعها بغلق موانئ بحر البلطيق).

المدرسة الاقتصادية الألمانية

يقول (كارل ماركس) (ما يزال الاقتصاد السياسي في ألمانيا حتى الساعة علماً غريباً فثم ظروف تاريخية خاصة أوقفتْ عندنا (ألمانيا) لحقبة طويلة انطلاق الإنتاج الرأسمالي فأوقفتْ تبعاً لذلك نمو المجتمع الحديث لذلك لم يكن الاقتصاد السياسي ثمرة من أرضنا فلقد جاءنا جاهزاً من انكلترا وفرنسا بصفته صنفاً مستورداً). كانتْ المانيا في السنوات الأولى من القرن التاسع عشر مكونة من دويلات متصارعة , كل دويلة فيها تفرض رسوما كمركية لحماية منتجاتها من منافسة الدويلات الأخرى لذلك اجمع الفكر الاقتصادي الألماني على ضرورة تجاوز هذه المرحلة والشروع ببناء مرحلة أكثر نضجاً وتقدماً ،وبرز في هذا الخصوص مفكران بارزان هما:-

1- آدم مولر 1779-1829: .

وهو محسوب على الاشتراكية الوطنية وكان مدافعاً عن مصالح أصحاب الأراضي والإقطاعيين ، تتمحور أهم أفكاره على الدفاع عن دور الدولة في الحياة الاقتصادية ، فالاقتصاديون الألمان على العموم يعتقدون بان الفرد يوجد من اجل الدولة ، ويبرر (مولر) هذا المنحى بقوله (إن الدولة ليست مجرد حاجة بشرية أساسية بل الحاجة البشرية الأسمى).

2- فردليك ليست 1789-1849:

يرى بان المجتمعات البشرية تمر في تطورها بخمسة مراحل هي:-

أ- مرحلة البدائية الهمجية . ب- المرحلة الرعوية .

ج- المرحلة الزراعية ح- المرحلة الزراعية/الصناعية.
د- مرحلة الزراعة /الصناعة / التجارة.

الفكرة الأساسية عنده هي ضرورة حرية التجارة بين الدويلات الألمانية والتي أصبحت فيما بعد الأساس الفكري للاتحاد الكمركي (زولفراي).
وقد وضح فلسفته بهذا الخصوص في كتابه (النظام الوطني للاقتصاد السياسي) ،جوهرها هو: ان الرسوم الكمركية ضرورية في المراحل الأولية للتطورالاقتصادي لبلد يمتلك مـــــواردا طبيعة وبشرية ليستْ كافية لبلوغ مرحلة النضوج.
والفكرة الأخرى التي تُذكَر لـ (فردريك ليست) هي تأكيده على ضرورة دور الدولة فـــي المجتمعات الإنسانية والذي لخصه بهدفين هما:-

الأول:- تسهيل عملية الانتقال من المراحل المبكرة إلى المراحل الناضجة من التطور الاقتصادي . .

الثاني:- تحقيق التوازن النهائي بين الصناعة والزراعة والتجارة.

3-كارل ماركس

ولد هذا المفكرفي مدينة (تري) من اراضي الراين في مملكة بروسيا عام 1818 وتوفي في انكلـــــترا عام 1883، كان والده يعمل محامياً من أسرة يهودية تَحولتْ إلى البروتستانتية حديثاً ،بدأ حياته صحفيا يكتب ضد الاضطهاد السياسي مما اضطر السلطات الألمانية لنفيه إلـــى انكلترا. كتب في عام 1848 مع (انجلز) البيان الشيوعي الذي جاء فيه (إن البروليتاريين ليس لديهم ما يخسرونه سوى السلاســـــل والأغلال وأمامهم عالم يجب عليهم اكتسابه) ،على اثر ذلك طُرِد من بلجيكا التي كـــــان يعيش

فيها فذهب إلى باريس عندما دعاه الثوار إلى ذلك وبعد أن أحبطتْ الثورة في عام 1849 طُرِدَ من فرنسا وذهب إلى انكلترا التي توفي فيها عام 1883. ويُعَد كتابـــــــه (مساهمة في نقد الاقتصاد السياسي) الذي كتبه في عام 1859 باكورة أعماله الاقتصادية النقدية .

أهم أفكار كارل ماركس

أولا:- نظرية القيمة

يقول :(ان شكل القيمة المُتحَقِق في شكل النقد هو شيء بسيط جداً بيد ان الذهن البشري قد حاول عَبثاً منذ أكثر من ألفي عام النفوذ إلى سره ، ذلك لأن دراســـــة الجسم المُعضَون -المتكون من مجموعة أعضاء- أسهل من دراسة الخلية التي هـــــــي عنصره الأولي)، ويقول:(البضاعة هي شيء يكفي بخصائصه الحاجات البشرية) أي انها تمتلك قيمة استعمالية تتمثل بمنفعتها التي لا تتحقق الا (بالاستعمال او الاستهلاك)،اما القيمة التبادلية فهي (العلاقة الكمية بوصفها النسبة التي تجري وفقا لها مبادلة قيم استعمالية مختلفة النوع .. وهي علاقة تتغير بتغير الزمان والمكان)،(وحين نضع جانبا القيمة الاستعمالية للبضائع لايبقى لها الا صفة واحدة وهي كونها نتاج عمل).(وليس لقيمة استعمالية ما قيمة الا بمقدار مايتبلور فيها من عمل بشري) ،من خلال النصوص السابقة نستنتج بان ماركس كما هوحال (ريكاردو) يعتقد بان مقياس القيمة التبادلية للبضاعة هو كمية العمل الاجتماعي الضروري لانتاجها .

ثانيا:- الموقف من علم الاقتصاد

يقول ماركس: (الغاية النهائية من كتابي هذا - رأس المال - هي الكشف عن القانـــــون الاقتصادي لحركة المجتمع الحديث، فهذا المجتمع لا يستطيع ان يتخطى بقفـــزة واحدة ولا إن يلغي بقرارات مراحل التطور الطبيعي ولكنه يستطيع اختصار مدةِ حمله وتخفـــيف ألآم وضعه)، ويتجلى رأيه بعلم الاقتصاد من موقفه اتجاه العلماء السابقين كما يرد في قولـــــه : (أن -ريكاردو- هو أول عالم اقتصادي يجعل عن قصد من المنازعة بين المصالـــــــــــح الطبقية.. من التعارض بين الأجر والربح وبين الربح والدخل نقطة الانطلاق لأبحاثه .. إنما ينص ريكاردو بسذاجة على أنها القانون الطبيعي الذي لا يتغير للمجتمع البشري وكأن في هذا بلوغ الحدود التي لن يجتازها العلم البرجوازي ، وقد تصدى النقد لهذا العلم فـــي حياة ريكاردو نفسه وقام بهذا النقد سيزموندي) ،ويضيف (جاءت ثورة 1848 القارية وامتد تأثيرها إلى انكلترا والرجال الذين يَدّعـــون الاحتفاظ بالأسلوب العلمي جهدوا أنفسهم عندئذ للتوفيق بين الاقتصاد السياسي لـــــرأس المال وبين مطالب البروريتاريا ومن هنا نشأتْ النزعة التوفيقية

المُحلاة التي يعتبـــــر جون ستيورات مِلْ أفضل معبر عنها). فغاية علم الاقتصاد باعتقاده هي اكتشاف قوانين التطور الإنساني ،ولم يدرك الاقتصاديون أهمية هذه المهمة فقصروا عن بلوغها او تعاملوا معها بانتهازية فاضحة .

ثالثا:- فائض القيمة

بالنسبة ل (ماركس) هناك فرق بين قيمة العمل لسلعة معينة وقيمته التبادلية إذ إن قيمـــــة العمل تساوي متوسط وقت العمل اللازم اجتماعياً لإنتاج البضاعة والرأسمالي يدفع ثمناً لقوة العمل هو اجر الكفاف ويمثل الفرق بين الاثنين ما اصطلح على تسميته ب(القيمة الفائضة).

Surplus value= i+ R+ P(فائض القيمة)

حيث ان:-

i=سعر الفائدة R =الريع P =الربح

أما الأجور فهي العائد الذي يخلق نفسه والعوائد الأخرى وبذلك تقاس به شدة الاستغلال.

$E = \frac{W}{W+i+p+R}$ (معدل الاستغلال)

ويميز ماركس بين نوعين من فائض القيمة هما:-

أ- الفائض المطلق :- وهي القيمة الجديدة التي خُلِقَتْ خلال اليوم واعتماداً على قيمة قوة العمل والتي تتضخم بإطالة يوم العمل.

ب- فائض القيمة النسبي:- الذي ينشأ من التحسينات في التقنيات أي التكنولوجيا التـــي تقلص الزمن اللازم لإنتاج وحدة واحدة من السلعة.

رابعا:- المنافسة والاحتكار

في رأي (ماركس) إن اشتداد المنافسة يؤدي إلى ابتلاع المنشآت الصغيرة من قِـــبَل المنشات الكبيرة وهذا يقود إلى التركز الصناعي أي شيوع النزعة الاحتكارية التـــــي تصبح معها الأسعار المُدبّرة حقيقة واقعة، فعندما يصل الاقتصاد إلى مرحلة التشغـــــيل الكامل بدافع تعظيم الأرباح تزداد معدلات الأجور ومع انخفاض القيمة الحقيقية لهـــــذه الأجور ينخفض منسوب تصريف البضاعة فتنخفض معدلات الأرباح وتنتهي العمليـــة في النهاية إلى الركود .

خامسا:- المنهج الجدلي الماركسي

يُعَد المنهج الجدلي الماركسي نسخة مُعدلة للمنهج (الهيغلي) الذي يقوم على ثلاثة قواعد هي:-

1- الفكرة أو النظام = الاطروحة .
2- الفكرة المضادة = الطِباق .
3- التركيب = النظام الجديد (ناتج عن الصراع بين الأطروحة والطِباق).

.

ولكن ماركس رفض هذه الرؤية الفلسفية استناداً إلى ان التناقض يبدأ في الواقـــــــع وينعكس على الفكر وليس العكس لذلك غيّر مفعول الجدل الهيغلي بتحديد نقطة البدايـــة التي هي الواقع ونقطة النهاية التي هي الفكر. يقول في هذا الخصوص : (ان الجـــــــدل الهيغلي كان يمشي على رأسه وما كان منا إلا ان نجعله يمشي على قدميه) . ويمـــــــكن توضيح الرؤية الماركسية من خلال المخطط الأتي:-

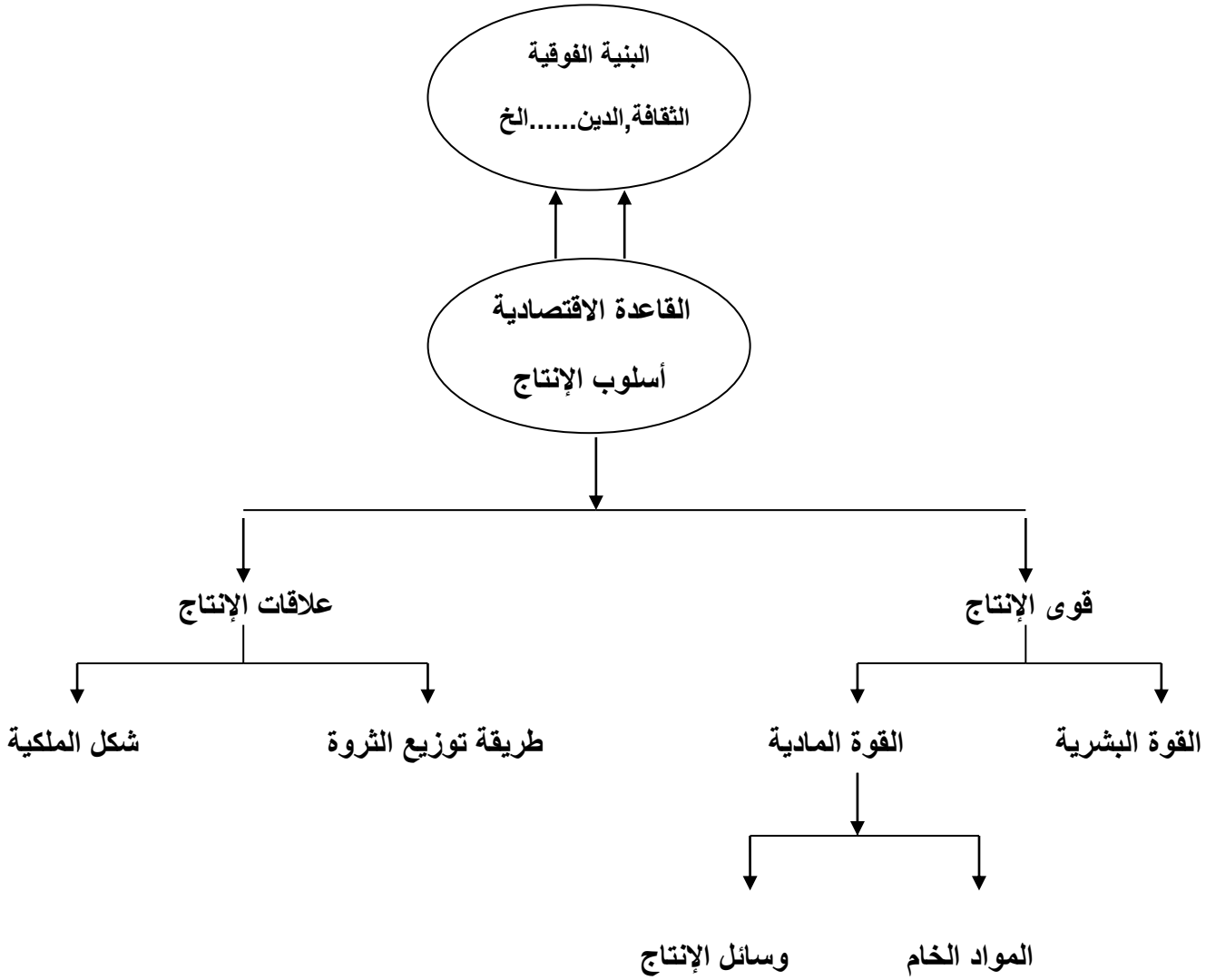

فنقطة البداية بالنسبة له على وفق قانونه في التعارض والتناقض هو حصـــــــــــول التعارضات في اسلوب الإنتاج بين قوة الإنتاج الاجتماعية وعلاقات الإنتاج الفرديـــــة وعندما تتحول هذه التعارضات إلى تناقضات عندئذ لا يمكن حلها إلا بثورة مفاجئـــــــة أي بالتحول النوعي أو الصيرورة التاريخية .وعندما يجري التحول يحصل التغير في البنية الفوقية أي في الأفكار والعادات والتقاليد. ولكن ماركس يعترف أيضا بان إيقاع التغير في البنية الفوقية هو أبطأ من إيقاعه في أسلوب الإنتاج لان الوجـــــــدان الاجتماعي (البنية الفوقية) يظل دائما حاضراً في بعض عناصره عبر المراحل الزمنية المختلفـــة وبناءاً على هذه الآلية من التحول شخّصَ ماركس المراحل التطوري**ة للمجتمعـــــات الإنسانية في كتابه (نقد الاقتصاد السياسي) بالآتي:-**

1- المرحلة الشيوعية أو المشاعة البدائية :- التي تكون الملكية فيها عامة ،فكل شـــــيء مشاع لذلك لا يوجد أساس للتناقضات في هذه المجتمعات .

2- مرحلة العبودية:- التي برزت فيها الملكية الخاصة والإنتاج التبادلي بسبب توفر الفوائض الإنتاجية.

3- مرحلة الأسلوب الآسيوي في الإنتاج وقد خص به المجتمعات الآسيوية.

4 -مرحلة المجتمع الإقطاعي.

5 -مرحلة المجتمع الرأسمالي.

6 -مرحلة المجتمع الشيوعي.

وهذه التقسيمات حافظ عليها ماركس في كتابه (رأس المال) باستثناء الاسلوب الآسيوي إذ ادّعى بان هذه التشكيلات استقرأها من دراسته للمجتمعات الأوربية ويمكن أن لا تصح بالنسبة للمجتمعات الأخرى.

المدرسة الحدية(المدرسة الحديثة)

في منتصف القرن التاسع عشر تطور التحليل الاقتصادي الحدي في بلدان مختلفة وبشكل متزامن تقريباً ففي :- **1-** انكلترا ظهر جيفونز ومارشال **2-** في أمريكا برز كلارك **3-** في سويسرا ظهر فالراس **4-** في النمسا ظهر كارل منجر **5-** أما ألمانيا فظهر فيها هيرمان جوزف ،كل هؤلاء ظهروا في سبعينات القرن التاسع عشر. ونستطيع القول ان هناك عاملان بلوّرا هذه المدرسة هما:- **أولا:-** فلسفة المتعة ل(بنتام)فالغاية من النشاط الاقتصادي هي المتعة المتمثلة بتحقيق الإشباع الذي يعقبه الألم بعد حد معين كما تعقب مرحلة التكاليف المتزايدة مرحلة التكاليف المتناقصة ، ومن فكرة هذه الحدود أستمد المنهج التحليلي الحدي أسمه.

ثانيا:- من حيث المضمون لا يمكن القول بان مدرسة التحليل الحدي كانت علمية خالصة فهي قد وضعتْ نتائج تحليلها في خدمة النظام الرأسمالي الذي تؤمن به إيمانا عميقا في صراعه مع نقيضه الماركسي الثوري. **وفي هذا الخصوص يمكن تلخيص الفكرة الجوهرية لهذه المدرسة كالأتى:إذا كان كل عامل إنتاج يستوفى عائداً بقدر مساهمته في الناتج الكلي إذاً أين هو الاستغلال الذي يتحدث عنه الماركسيون** . ويمكن الاستناد إلى (جون كلارك) في إثبات هذه الفكرة إذ ورد في كتابه (توزيع الثروة / distribution of wealth) الصادر عام 1899(ان الغرض من هذا

الكتاب هو إظهار ان توزيع دخل المجتمع يحكمه قانون طبيعي وان هذا القانون إذا ما تم تنفيذه بدون احتكاك فانه سيعطي لكل عامل من عوامل الإنتاج كمية الثروة التي يخلقها).

ويقول (مارشال) في هذا الخصوص (ان المذهب الذي يقول بان ما يكسبه العامل يميل الى ان يكون مساوياً لصافي ناتج عمله ليس له في حد ذاته أي معنى حقيقي نظراً لأنه كي يتم تقدير صافي الناتج يجب علينا أن نُسَّلم بجميع مصروفات السلع التي يعمل في إنتاجها العامل بخلاف أجره الشخصي)،وقد اعتبر (مارشال) ان من الخطأ الحديث عن الإنتاجية الحدية بصورة مستقلة عن تأثير المؤسسات مثل النقابات والمنشآت ودورها في تحديد الأجور وتوزيع الدخل.

وعلى العموم يبقى (مارشال) هو الأب الروحي لهذه المدرسة فمعظم أقطابها من الجيل الثاني كـ (بيجووكينز-) كانوا من تلاميذه في جامعة كامبردج لذلك سنقوم بدراسة أفكاره بشكل مفصل.

الفريد مارشال(1842-1924)

لُقِبَ بالكاهن الأعظم لعلم الاقتصاد بعد جون ستيورات مل، ولد لأسرة بروتستانتية متشددة,حَوّل دراسته في جامعة كامبردج من اللاهوت إلى الرياضيات والفيزياء ثم إلى الاقتصاد في نهاية المطاف وقد ركز في دراساته الاقتصادية على الدقة النظرية لريكاردو وتلمس إيجاد هذه الدقة في الجبر والرسوم البيانية,وما يؤخذ عليه انه كان بطيئاً في نشر كتاباته فلم يصدر كتابه (مبادئ الاقتصاد) إلا في عام 1890، تتلخص فلسفته الاجتماعية بالعبارة الآتية (أن استقصاءاتي في إمكانيات إحداث تنمية أعلى وأسرع للقدرات البشرية جعلتني ما مدى كفاية ظروف حياة الطبقات العاملة البريطانية بصفة عامة لتحقيق الحياة الكاملة).

أي انه يبحث عن وسائل خلق الشروط اللازمة لتحقيق الشخصية الإنسانية . **ويمكن تلخيص أهم إسهاماته في علم الاقتصاد بالاتي:- 1.**حاول تجاوز الإشكالية التي تثيرها فكرة (بنتام) القاضية بقياس المنفعة نقدياً هذه الإشكالية التي تنجم عن تناقص قيمة النقود.

(1) **(2)**

$u_y = 2u_x$ **when**	$P_y = 2p_x$ **when**
$\therefore p_y = 2p_x$	$\therefore u_y = 2u_x$

نلاحظ من الشكل (1) ان بنتام ينتقل في تحليله من تقدير المنفعة الى تحديد السعر في حين يذهب مارشال الى العكس أي ان السعر هو الذي يعكس المنفعة فاذا كان سعر السلعة (Y)ضعف سعر السلعة (X)فهذا يعني ان منفعة (Y) هي ضعف منفعة(X).

والفكرة الأساسية في هذا الخصوص لـ (مارشال) إذا كنت مستعدا لدفع ثمن مقداره 300 دولار لسلعة(y) ودفع 100دولار للحصول على السلعة (x) فهذا يعني أن مقدار الإشباع الذي تحققه السلعة (y) بالنسبة لك وهو منفعة السلعة(y) يعادل ثلاثة أضعاف الإشباع الذي تحققه السلعة(x).

2. التوازن من خلال التقاطع المارشالي: يُعرَف التوازن بأنه حالة التعادل بين قوتين متضادتين أو فعلين متعاكسين وهو أما إن يكون ساكناً أو متحركاً (دينامياً) ففي الفيزياء يكون الشيء في حالة توازن ديناميكي إذا كان يتحرك على مسار لمدة من الزمن قابلة للتنبوء وفي الاقتصاد إذا كانت المعلمات متغيرة يكون النموذج دينامياً وليس استاتيكياً, وكان إسهام -مارشال- هو الجمع بين نظرية الكتاب الكلاسيكيين في الإنتاج ونظرية الحديين في الطلب، فمن جانب الإنتاج رصد العلاقة الطردية التي تنتظم الأسعار والكميات المنتجة اذْ طالما العائد الحدي يتناقص فالمنتج سيكون مُستعداً لعرض منتجات إضافية عندما يكون هناك استعداداً عند المستهلكين لدفع سعر يعادل الكلفة الحدية وهذا يضمن وجود منحنى عرض متصاعد .أما في الجانب الأخر فهناك علاقة عكسية بين زيادة الطلب وانخفاض الأسعار أي كلما انخفضت الأسعار زاد الطلب ويتحقق التوازن عندما يتقاطع المنحنيان ، ولكن ماذا عن العوامل الأخرى أي تأثير الدخل والتغير في الكلفة فمن رأي مارشال انهما تؤثران على منحنيات العرض والطلب وليس على التوازن.

3- صاغ (مارشال) فكرة المرونة التي أخذها عن (هنري جانكين) الذي تكلم عنها في 1883 - 1885 وهو احد أساتذة الهندسة الذي تحول إلى الاقتصاد عام 1868.

كتب يقول عن المرونة (إن مرونة أو درجة استجابة الطلب في أحد الأسواق يكون كبيرا أو صغيرا حسب ازدياد الكميات المطلوبة كبرت ام صغرت مقابل ارتفاع الثمن).

جيفونز والمنفعة الحدية

كتب جيفونز عام 1860 إلى أخيه يقول (لما كانت كمية من أي سلعة مثلاً الطعام الخالص الذي يجب أن يستهلكه الشخص يتزايد ومن ثم إن المنفعة الحدية أو الميزة المستخرجة من آخر قطعة مستخدمة تتناقص درجتها.. ونقص المتعة بين بداية ونهاية

الوجبة يمكن ان يؤخذ كمثال وهنا تكون قيمة اللقمة الأخيرة الأقل طلباً هي التي تحدد القيمة للكل).

هذه الرؤيا يوضحها النمساوي (كارل منجر) كما في الجدول الآتي:

	1	2	3	4	5
	هرم الاحتياجات	**تجنب الموت جوعاً**	**لبس الثياب**	**السكن**	**النقل**	**التمتع بالرفاهية**
	وسائط الاشباع	**الطعام**	**الملابس**	**المنزل**	**الحصان**	**الجِعة**
1	5	4	3	2	1
2	4	3	2	1	صفر
3	3	2	1	صفر	
4	2	1	صفر		
5	1	صفر			
6	صفر				

يمكن كتابة الملاحظات الآتية حول الجدول:-

1- يقوم الشخص بترتيب احتياجاته تنازلياً وفقاً لأهميتها وعلى وفق قراءتنا نحن (البقاء،التلاؤم الاجتماعي،الاستقرار،الاختلاط والاندماج الاجتماعي،الرفاهية الشخصية) .

2- يحدد مستويات الإشباع من استهلاك سلعة أو أكثر على وفق أهميتها.

3- أن القيم العددية تمثل تناقص المنفعة.

4- لما كانت المنفعة الحدية تتناقص مع ازدياد الكمية المطلوبة فان الثمن الذي يجب ان يدفعه المستهلك لا بد أن يتناقص أيضا وهذا هو قانون تناقص العائد الحدي الذي استند

إليه (مارشال) في تحليله لفكرة التوازن.
وبهذه الطريقة يتم بناء جدول طلب تنازلي منحدر.

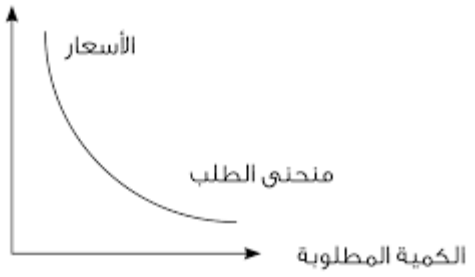

التعبير الرياضي عن التوازن الجزئي ل (جيفونز)

إذا حصلتْ عملية تبادل بين شخصين لسلعتين مختلفتين هما القمح ونرمز له بالرمـــز (X) واللحم ونرمز له بالرمز(Y) عندئذ يكون:-

$$\frac{Y}{X}=\frac{dY}{dX}$$

(بشرط ان تزايد الاستهلاك يتم على وفق معادلة خطية بسيطة) ، بمعنى أن المنفعة الحدية لإحدى السلع تكون أكبر من الأخرى.

إذ يحصل الشخص الأول من معادلة التبادل السابقة على (A-X) من القمح و (Y) مـن اللحم في حين يحصل الشخص الثاني على (X) من القمح و(B-Y) من اللحم وبالتالـي تكون معادلة التبادل التي تحقق أقصى إشباع لكليهما هي:-

$$\frac{A-X}{U(Y)}=\frac{U(X)}{B-Y}$$

حيث ان :

U(X) = المنفعة الحدية لـ (X) .

U(Y) = لمنفعة الحدية لـ (Y) .

بمعنى ان المنفعة الحدية للقمح (X) على كمية (Y) من اللحم بالنسبة للشخص الثاني تساوي كمية (X) بالنسبة للشخص الثاني على المنفعة الحدية ل(Y).

فإذا زادت نسبة التبادل $\frac{Y}{X}$ انخفضت منفعة (X) والعكس صحيح إذا انخفضتْ منفعة (X) زادت نسبة التبادل أي ازداد معدل التخلي عنها لصالح (Y).

الاقتصادي فالراس:(عاصر جيفونز وكلارك عام1822)

نظرية فالراس فيها الكثير من تقاليد (كيناي وقانون ساي) ويمكن إيجاز المرتكزات الأساسية الفكرية لنموذج التوازن عنده بالآتي:-

1- ضمان العمالة الكاملة من خلال التكيف الأوتوماتيكي للأسواق.

فزيادة الطلب في سوق القمح مثلاً يجب أن يجد عرضاً إضافيا في أسواق أخرى فإذا كانت كمية القمح المطلوبة أكبر من كمية العرض فان الثمن سيكون الرافعة التي تجذب الطلب إلى الأسفل,ونظراً لترابط الأسواق فان ارتفاع سعر القمح يُحدِث اضطرابات في توازنات الأسواق الأخرى ولذا فانه يجب عمل تعديلات أكثر في جميع الأسواق الأخرى وهكذا يتحرك النظام كله باتجاه التوازن في أسواق متعددة.

2- المعرفة

كيف يمكن لكل شخص أن يعرف أحوال الأسواق حتى يضمن حدوث التوازن، يرى فالراس بان الطريق إلى ذلك هو التلمس أي (التجربة) حيث يعلن البائعون الكميات التي يرون بيعها وأسعارها (يجري الصراخ العشوائي بشأنها)كما يحدث في حلقة المتاجرة في أسواق الجملة فيزيدون أسعارهم عندما يزداد الطلب وينقصونها عندما يزداد العرض حتى يصلوا إلى السعر التوازني.

وأخيراً اقترح (فالراس) فكرة الدلّال الذي يجري العمليات الخاصة كافة ويقرر الأسعار التي تحقق تصفية جميع الأسواق.

يقول (مارشال) عن نموذج (إن فالراس ترك كثيراً من الأسئلة دون جواب او غير قابلة لإعطاء جواب وليس أقلها غياب الدلال)ومع ذلك يقول (كنتر براي): (إن فالراس وليس مارشال هو الذي سيطر على الاقتصاد في نهاية القرن العشرين) .

الفكر الاقتصادي الأمريكي في القرن التاسع عشر

كان البيروتان*هم أول من أستوطن أمريكا الشمالية وقد أسهم التخلق بأخلاقهم في نهضة الرأسمالية ألاوربية والامريكية ,وفي عام 1840أصبحت الولايات المتحدة قوة اقتصادية كبرى ينمو اقتصادها بمتوسط 48% للفترة من 1834- 1903 .

ومن أبرز سمات الاقتصاد الأمريكي في هذه المرحلة هو إحلال الآلة محل العمل اليدوي مما أدى إلـــــى نشوء اقتصاديات الحجم الكبير وهذا قاد بدوره إلى تخفيض الكلفة مما أدى إلى زيـــادة العائد،وكان انخفاض التكاليف لـــه دور في انخفاض الأسعار فعلى سبيل المثال تراجع سعر طن الصلب من (120) دولار سنة 1873 الى(17) دولار سنة1898.

وأخيراً يمكن القول ان نهضة السكك الحديدية والصناعات الثقيلة والتوسع غير العـــادي في البنوك وبروز ظاهرة الشركات المساهمة أدى إلى ارتفاع ثروات العائلات الـــــتي أصبحت أسماؤها مرادفة لتركز الأموال والسلطة ، ومن الممكن رصد بعض الظواهـــــر التي دفعت التجربة الأمريكية إلى الإمام ، ففي عام 1909 طرح (فورد) سيارته(T) التي تستطيع أن تمشي حتى في الطرق غير المعبدة ورفع أجر العاملين في مصانعه إلـــــى (5)دولار يومياً لكي يتمكنوا من شراء سيارته فهو قد فهم تماماً اقتصاديات الحجم الكبير إذ يقول (إذا تمت زيادة الإنتاج بنسبة (500%) فان الكلفة ستنخفض بنسبـــة (50%) وهذا الانخفاض في الكلفة يحتمل أن يؤدي إلى زيادة قدرها (10)أمثال أعداد الأشخاص الذين يمكنهم شراء المُنتَج بدون إرهاق).وكانت مداخيل العمال معينا لا ينضب للبيع الجماهيري.

* البيوريتيان: جماعة بروتستانتية ظهرتْ في انكلترا ونيوزيلاند فـــــــــي القرنيين السادس عشر والسابع عشر، طالبتْ بتبسيط طقوس العبادة،تكمن القيمة الاقتصادية لمذهبها في تشجيعها لتكديس الثروات .

في ظل هكذا تطورات ركز الفكر الاقتصادي الأمريكي والانكليزي على الإجابة عن سؤالين هما:-

1- كيف يمكن تبرير تراكم الثروات وتركزها بيد أقلية في ظل المنافسة التامة؟

2- كيف يمكن تفسير ظاهرة الفقر بالنسبة لِمَنْ لم يستفدْ من النظام؟

فجاءت الإجابة أولاً من عالم الاجتماع (هربرت سبنسر)في نظريته غابات الإسفلت حيث يعتقد بان (الأغنياء سيزدادون غنى والفقراء يزدادون فقراً وهي حقيقة تمثل طريقة الطبيعة في تحسين الأنواع والاقتصاد ، ونظـــــراً لأن الظروف ستكون أفضل فان البشر ينبغي أن لا يتدخلوا في التقدم الطبيعي ومساعـــــدة الفقراء عن طريق الإعانات الخاصة أو العامة).

وفي أمريكا ظهر صوت مقابل هو سميلر(1840-1910) الذي يرى بان (المليونيرات هم نتاج الطبيعة وهم الوكلاء المختارون طبيعياً للمجتمـــع لأداء عمل معين وهم يحصلون على أجور مرتفعة ويعيشون في رفاهية وترف ولكن الصفقة تُعَد جيدة بالنسبة للمجتمع).

ويرى (إن المنافسة الاقتصادية هي انعكاس ممتاز للموجود الحيواني ،وفي الكفاح مـــن أجل البقاء ذهب الإنسان من الانتقاء الطبيعي إلى الانتقاء الاجتماعي لأصلح الأشخاص ومن الأشكال العضوية ذات القدرة الفائقة على التكيف إلى المواطنين ذو المخـــــزون العظيم من الفضائل الاقتصادية).

وقد أعتمدتْ عملية الارتقاء على منافسة غير مقيدة ،وعندما تسود الحرية فان الأشخـــاص ذوي الشجاعة والقدرة على التنظيم والإدارة سيكونون على القمة في نظام مطبوع على الخير أوتوماتيكيا . ويمكننا أن نجد تصويراً موحياً للمليونير الأمريكـــــــي (روك فلار) للمنافسة بقوله:(ان زهرة الجمال الأمريكي يمكن إنتاجها بالروعة والعبير الذي يأتـــي بالسرور على حائزها فقط من خلال التضحية بالبراعم المبكرة التي تنمو حولها وهـــذا ليس اتجاها شريراً في الأعمال ولكنه مجرد إنفاذ لقانون الطبيعة وقانون الله).

ثورستن فبلن 1857-1929

كان من تلاميذ (كلارك) في المرحلة الأولى الجامعية ومن طلبة (سميلر) في الدراسات العليا ، أسس الفرع الوحيد للفكر الاقتصادي الأمريكي . نقطة البداية في تحليلاته هي

وصفه لحالة الأمة التي يعيش فيها حيث يقول بأنها (أمة سيطر عليها بضعة مليونيرات جمعوا ثروات ضخمة ليس من خلال الإنتاج بل إلى حد كبير من خلال التلاعب المالي).

ويرى بان الأغنياء يقومون بتكوين الثروات واستهلاكها بطريقة لافتة للنظر لأن الاستهلاك بالنسبة لهم استعراض لعناصر القوة وهو يشير في نفس الوقت إلى الترف والمكانة،صدر أول كتبه وأكثرها شعبية بعنوان (نظرية الطبقة المترفة) ،نَحتَ فيه مجموعة من المصطلحات التي ظلتْ مهيمنة على الفكرالاقتصادي حتى هذه اللحظة مثل الاستهلاك المظهري التفاخري الذي (يلعب دورا مهماً على امتداد التطور الكامل للإنفاق غير السليم فلكي يكون المرء مشهوراً يجب أن يكون مُسرِفاً).

<u>وأكد فبلن على قضيتين أساسيتين هما:-</u>

أولا:- (إن المؤسسات هي نتاج لعملية الماضي ولهذا فهي لن تكون مطلقاً في توافق تام مع متطلبات الوقت الحاضر لان هذه المؤسسات المتمثلة بالعادات الفكرية والآراء والمواقف العقلية والقدرات الجسدية والذهنية هي ذاتها عامل محافظ).

ثانيا:- (إن غريزة البراعة في العمل تتدهور بينما تزداد أهمية فن البيع ، فعندما يتحرك الاقتصاد إلى مستوى أعلى تزداد أعمال رجال المبيعات والمُعلنين والمحاسبين ويُشرَد خبراء الإنتاج).
ولكنه ظل مؤمنا (بأن المهندسين سيتخلصون من الرأسماليين الغائبين ويستعيدون الصناعة) ولم تتحقق نبوءته فعاش معزولاً في كوخ ريفي حتى وافاه الاجل عام 1929.

<u>الفكر الكينزي</u>

بحلول عام 1900 أصبح ربع سكان العالم خاضعين للسيطرة الأوربية والأمريكية وكان هذا الوضع مثار تبجيل من البعض ومثار استنكار من البعض الآخر ولكنه أيضا ظاهرة تستحق التحليل من البعض الثالث وفي مقدمة هذا البعض هو :-

هوبسن:- الذي كتب كتاباً عن الامبريالية عام 1902 رصد فيه التناقض العميق في النظام الرأسمالي فبالرغم من ان الجماهير كبيرة العدد ولكن لديهم أجور منخفضة تنفق بكاملها على الضروريات أما الأغنياء فلديهم دخول عالية وأعدادهم صغيرة.ولما كان العمال الأجراء لديهم الرغبة ولكن لا يمتلكون القوة بينما الأغنياء يتوافرون على القوة

ولكن تنقصهم الرغبة لذلك يظل الطلب محدودا ،فإذا كان الأجراء يواجهون مشقة في شراء السلع المنتجة فلماذا يشتري الرأسماليون سلعاً إنتاجية تتولد عنها فوائض سلعية أكثر ؟ هذا سؤال محوري عند هوبسن وحله يكمن في استخدام المدخرات الفائضة لدى الأغنياء لبناء مصانع في أفريقيا كما ان الإنتاج الذي لا يباع في انكلترا يمكن أن يباع للأفارقة الفقراء وهكذا فإن الاستعمار سينقذ الرأسمالية الانكليزية . وقد طُور هذا المفهوم من قبل القائد الشيوعي لينين (1870-1924) حيث كتب بعد هجرته إلى بولندا عام 1912 كتابه الموسوم (الامبريالية أعلى مراحل الرأسمالية) حيث تشهد الرأسمالية في مراحلها العليا تراكم فوائض مالية لا سبيل لتصريفها الا باستغلال المستعمرات، فالاستعمار لا يمثل الأسواق فقط وإنما يمثل مراكز استثمارية واعدة وخاصة أن الاحتكارات امتدتْ بأيديها عبر الحدود،و مع اكتساب الرأسمالية لقوة اقتصادية أكبر من خلال استغلال المستعمرات يكون بإمكانها رشوة العمال برفع مستوى أجورهم والدليل على ذلك عند (لينين) أن الحروب الاستعمارية دُعِمَتْ على العموم من حكومات عمالية.

جذور المدرسة الكينزية

يقول (جالبرث) (لقد كان هناك كينزيون قبل كينز بمدة طويلة **أولهم (أدولف هتلر)** الذي شرع في تنفيذ برنامج واسع للأشغال العامة عندما تقلد السلطة في المانيا عام 1933 وأوضح مظاهر هذا البرنامج إنشاء الطرق السريعة وعدم المبالاة بالقيود على الإيرادات الضريبية ، فقد كان مع حزبه النازي يؤمن بفكرة التمويل بالعجز وبحلول1930 كان قد قضى تقريباً على البطالة).

وكانت السويد أكثر تحضرا وارتباطاً بالفكر الاقتصادي المتفتح حيث رأى الاقتصادي الابرزفيها (نيت فكسل)(1851-1926) بان الاحتكار والمنافسة هما النهايتان المتطرفتان لطيف يضم أشكالا عدة من تنظيمات السوق ، وكان يرى (انه في الأوقات الطيبة ينبغي أن تكون الميزانية متوازنة ولكنها في أوقات الكساد يجب أن تكون غير متوازنة قصداً حتى تؤدي زيادة المصروفات إلى دعم الطلب والعمالة) ،كان كل هذا ينفذ في ستوكهولم في الثلاثينيات قبل (كينز) بوقت طويل.

ويمكن أيضا اعتبار (آرثر بيجو) واحداً من الاقتصاديين الذين أثرو في الفكر الكينزي وان هاجمه (كينز) في أكثر من موضع إلا انه ظل يُلقبه بالأستاذ. فقد سلط الأضواء في كتابه (اقتصاد الرفاهة)على الأثر البيئي في النمو الاقتصادي انطلاقاً من مبدأ أخذه عن أستاذه (مارشال) يتلخص في ان الاقتصاد أداة تحليل للظواهر الاقتصادية وطريقة تفكير بمعطياتها فليس هنالك حقائق غير قابلة للمراجعة بما في ذلك جوهر الاقتصاد الرأسمالي (الحرية الاقتصادية) . يقول في كتابه اقتصاد الرفاهة (إن التحليل الدقيق

والحريص للاقتصاد قد كشف عددا من النواحي التي لا يمكن معها تأييد أو تبرير سياسة حرية العمل وحتى في أكثر الدول تقدماً هنالك حالات فشل وعيوب وعقبات كثيرة تمنع توزيع موارد المجتمع على وفق أكثر الطرق كفاءة) ،فعلى سبيل المثال يُفسَر إصرار الصناعيين على استخدام مصادر الطاقة الاحفورية (الفحم والنفط) رغم آثارها البيئية برخص ثمنها وفي هذا الخصوص يحدد (بيجو)على ضوء الموازنة بين الآثار السلبية والآثار الإيجابية للنشاط الاقتصادي ثلاث مستويات من الإنتاج هي:-

اولا:- عندما تكون التكاليف الاجتماعية الحدية اكبر من التكاليف الحدية الخاصة (**MPC <MSC**) وهذا يعني أن الإنتاج الفعلي اكبر من الإنتاج المثالي الذي يعكس الرغبة الاجتماعية مما يؤدي إلى سوء توزيع الموارد.

ثانيا:- إذا فرضتْ الحكومة ضريبة على الإنتاج فان التكاليف الحدية الخاصة ستتعادل مع التكاليف الاجتماعية الخاصة(**MPC =MSC**) وعندئذ سينخفض الإنتاج إلى اقل من المعدل المثالي لان تكاليف التخلص من النواتج العرضية السلبية سيتحملها المنتج وعندئذ سيقلص إنتاجه إلى اقل من المستوى المطلوب اجتماعيا لكي يحافظ على مستوى من الأسعار مناسباً له ويُعَد هذا هدراً لموارده .

ثالثا:- يتحقق المستوى المثالي عندما يتعادل التأثير العرضي السلبي مع الايجابي دون تدخل حكومي عن طريق الإعانات أو الضرائب ،وفي هذه الحالة فقط تتحقق الامثلية في توزيع الموارد على الاستخدامات المختلفة .

طبيعة الأسواق

أن الأزمات المتوالية دَفعتْ بعض الاقتصاديين لاعادة النظر في أبجديات التحليل الاقتصادي الكلاسيكي وفي المقدمة من ذلك طبيعة الأسواق التي تصدى لدراستها (سبيرو سيرافا) وهو مدرس اقتصاد بجامعة كامبردج وأحد تلاميذ مارشال إذ وضح كيفية دراسة منشأة أعمال بوصفها منافساً غير كامل واستنتج أنه مع تناقص التكاليف فان الطلب بدلاً من المنافسة يصبح هو القوة التي تحدد حجم المنشأة ، وأعادتْ فحص هذه الفكرة أحدى اقتصاديات جامعة كامبردج وتلميذة (كينز) (جوان روبنسن) في كتابها الصادرعام 1933 (اقتصاد المنافسة غير الكاملة) حيث أكدت على مقولة المنافسة الاحتكارية فطبيعة الأسواق باعتقادها هي (احتكار القلة)، وفي السنة نفسها كتب (تشامبرلين) كتاباً في الموضوع نفسه إذ يرى ان شركات المنافسة الضخمة يمكنها أن تنفذ عمليات المنافسة غير السعرية من خلال اجتذاب المستهلكين عن طريق إضافة ملامح وسمات وخدمات خاصة وعندئذ يمكن للمنتج أن يعلن بان منتجاته مميزة وفريدة وقد يستحدث لجلب المستهلكين تصميما جديدا دون أن يخفض السعر،

والاختلاف بين الاثنين هو أن (تشامبرلين) يرى أن ظاهرة التميز غير السعري واحدة من مزايا المنافسة غير الاحتكارية في حين ترى (روبنسن) بان هذا التنويع المصطنع للمنتجات تبديد للموارد وضياع للشخصية الإنسانية .

مضاعف kahn

اكد (كان)عام 1913 أن الإنفاق الحكومي على المنشآت العامة سيوزع على العمال بشكل أجور وسينفق الجزء الأكبر من هذه الأجور على السلع والخدمات الاستهلاكية وسيقوم أصحاب المتاجر بإنفاق جزء كبير من متحصلاتهم النقدية على الأجور والمخزون السلعي، فإذا ما قامت الحكومة بتوظيف (20000) عامل لإزالة أوراق الأشجار وارتفعت نسبة العمالة في صناعة السلع الاستهلاكية إلى (40000) عامل عندئذ يكون إجمالي العاملين (60000) عامل أي أن مضاعف العمالة أصبح (3) وهذا يعني لتقريب الفهم أن تشغيل عامل واحد يقود إلى تشغيل عاملين إضافيين .

جون مينارد كينز

ولد (كينز) في 5 يوليو 1883-1946 في مدينة كامبردج ،كان أبوه أستاذا جامعيا وفي سنوات دراسته الأولى انضم إلى جماعة(Bloomsbury Group) وهي جماعة من المثقفين والكتاب والمفكرين الذين اجتمعوا في بلدة جارلستر عام (1907-1930) ، امتازتْ هذه الجماعة بأفكارها التقدمية وتهتكها الأخلاقي حتى وصفوا (بالبوهيميين) ،أهم شخصيات هذه الجماعة (فرجينيا وولف) التي تُعَد احد أعظم روائي القرن العشرين . يقول الصحفي (نيكولاس وابشوت) (بان جماعة بلومزبري سمحتْ لكينز أن يفكر خارج الصندوق والتفكير في ما لا يمكن تصوره) . بعد تخرجه من الجامعة عمل مدققا ماليا في الهند قبل الحرب العالمية الأولى ولكن بعض الخلافات دفعته إلى العودة إلى بلاده والعمل بالتدريس الجامعي وبعد انتهاء الحرب العالمية عمل في وزارة المالية (الخزانة العامة) .

لقد كان (كينز) في واشنطن حين انفجرتْ الثورة الشيوعية الروسية عام 1917 ،وفي رسالة بعثها إلى والدته قال عن (الثورة) (إن ما يحدث في روسيا هو النتيجة الوحيدة ذات القيمة للحرب العالمية الأولى) ربما كان ذلك نتيجة تأثره بالفكر الماركسي أو نتيجة تأثير زوجته راقصة الباليه الروسية الشهيرة (ليديا لبوكوتيا) عليه.

برز نجم -كينز- في مؤتمر باريس للسلام عام 1916 الذي خرج بمعاهدة فرساي والتي حَملّت ألمانيا مسؤولية الحرب العالمية الأولى وفرضتْ عليها غرامات مالية باهظة مما اضطر -كينز- للخروج من المؤتمر واستقالته من وظيفته في وزارة الخزانة

واصداره لكتابه الأول (العواقب الاقتصادية للسلام) قال فيه :ان التحامل على ألمانيا سيكون سبباً لظهور اسوأ ما نتوقع إذ أن العقوبات كما يرى هي غباء أكثر مما هي عمل غير أخلاقي.

الأزمة الاقتصادية

تتلخص الأزمة المالية بزيادة العرض من السلع والخدمات وانخفاض الطلب عليها نتيجة محدودية القدرة الشرائية وقد عَبرَّت الأزمة عن نفسها في انهيار الأسواق المالية أبان مرحلة الكساد الاقتصادي، ففي 29 أكتوبر عام 1929 طُرِحَ في وول ستريت أكثر من ثلاثة عشر مليون سهم للبيع مرة واحدة ففقدت الأسهم قيمتها مما أدى الى شيوع ظاهرة الذعر المالي وقد بلغتْ الخسائر الإجمالية خلال اقل من شهر حوالي ثلاثين ملياردولار أي ما يزيد عن الميزانية الفيدرالية آنذاك بثلاث مرات وما زاد من آثار الأزمة ان المعالجات كانت غير علمية وانفعالية ، فقد فرضتْ الحكومة الأمريكية مزيدا من التعريفات الكمركية على نحو عشرين ألف صنف مستورد مما أدى إلى زيادة معدلات البطالة فطرح (كينز) أفكاره بخصوصها في كتابيه (نظرية النقود/ 1930 والنظرية العامة للتشغيل والفائدة والنقود/ 1936) وكانت هذه الأفكار بمثابة طوق النجاة للاقتصاد العالمي ، والفكرة المركزية فيها هي دعم تدخل الدولة لضبط اقتصاد السوق بالتوجيه والمراقبة . يقول (كينز) (هناك أوقات نحتاج فيها إلى التدخل لنجعل الرأسمالية تعمل لصالحنا) فهو يرى ان الحكومة يجب أن تنفق الأموال حتى ولو اضطرتْ إلى الاستدانة وهكذا يمكن تلخيص أفكار (كينز) في حيوية الدور الحكومي عن طريق الإنفاق وتخفيض الضرائب في تحريك الاقتصاد واستعادة عافيته وفي هذا الخصوص وبالرغم من الانتقادات الموجهة إلى (كينز) من قِبَل جَمعٍ من الاقتصاديين اضطروا للعودة إليه 2009 بعد الأزمة المالية في سنة 2008 حيثُ أعلن الرئيس -اوباما- برنامجه المتضمن خفض الضرائب وزيادة الإنفاق الحكومي وبذلك أنقذ رأسمالية القرن الواحد والعشرين مثلما أنقذ (روزفلت) رأسمالية القرن العشرين استنادا إلى الوصفة الكينزية. يقول الاقتصادي الامريكي (جوزيف ستيجلز) الحائز على جائزة نوبل إن (ما فعله كينز هو انه حافظ على الرأسمالية للرأسماليين).

التحليل العلمي للفكر الكينزي

قال كينز لمستمعي الإذاعة البريطانية في عام 1931 (إن الإنفاق كان ضرورياً في مواجهة الكساد) لأنه تأكد زيف الاعتقاد بان المدخرات المتوقعة سيعوض عنها الاستثمار عندما لم تكن هناك أي فرص استثمارية تلوح في الأفق فعلى سبيل المثال كانت الصناعة الأمريكية في عام 1932 تبيع أقل مما كانت تبيعه عام 1929 لذلك

أقترح (كينز) زيادة الإنفاق على المشروعات العامة ورفض مقترح (بيجو) القاضي بتخفيض الأجور، وقد كتب قبل ذلك عام 1926 مقالاً تحت عنوان(نهاية حرية العمل) شكك فيه بنظرية (آدم سمث) في العلاقة بين المصالح الخاصة والعامة وكذلك بقانون (ساي)واستنتج (ان مستوى الدخل والعمالة يجب أن يعتمد على أكثر من تساوي الادخار مع الاستثمار) وقام بتكييف فكرة زميله (kahn) عن مضاعف العمالة وأستبدلها بنظرية مضاعف الاستثمار، فاذا قامتْ الحكومة أو الصناعة باستثمار مبلغ مبدئي مقداره مليار دولار وأرتفع الدخل إلى مليارين دولار فإن المضاعف عندئذ يكون 2، وكان تخمين (كينز) صحيحاً لأن المضاعف في انكلترا آنذاك كان(2)وقد اعتمد (كينز) على رياضيات -kahn- في اشتقاقه.

$$M=\frac{\Delta Y}{\Delta I} \quad =\frac{1}{1-mpc}$$

$$\Delta Y = \frac{1}{1-mpc}.\Delta I$$

$$M=\frac{1}{1-mpc}$$

$$MPC+MPS=1$$

وبذلك لا يعتمد الاستهلاك على الادخار بل يعتمد على الدخل وهناك ميل نفسي مستقر في المجتمع الحديث وهو قيام المستهلكين بزيادة استهلاكهم كلما ارتفعتْ دخولهم والعكس صحيح.

العلاقة الدالية بين الاستهلاك والادخار والدخل

يرى (كينز) إن ارتفاع الادخار يعني انخفاض الاستهلاك المرغوب وهبوط الطلب على السلع والخدمات الذي ينشأ عنه انخفاض في مستويات الإنتاج ومن ثم انخفاض الدخل وانخفاض الادخار عن القدر المستهدف أصلاً، وهذا الانخفاض في الادخار سيجاري الاستثمار عند مستوى أكثر انخفاضاً من GNP وهكذا يمكن تحقق المساواة عند مستويات الطلب الإجمالي غير الكافية لتشغيل كل الأفراد المنتظمين في قوة العمل أي يمكن للتوازن أن يتحقق دون مستوى التشغيل الكامل ويضيف (كينز) (حتى هذا التوازن المُستنبَط ليس مستقراً وتحت رحمة التدفق في الأرباح المتوقعة وهكذا يتأرجح

الاقتصاد الحقيقي بدون استقرار بين التوازنات مثلما كانت الطائرة الأولى للأخوين – رايت- تتدحرج وتنقلب مع الرياح والنسمات وأحياناً قد يحدث السقوط).

النقود والفائدة والسندات

يقول (كينز) (إن الاحتفاظ بأرصدة نقدية يُعَد أمرا رشيدا تماماً عندما يكون المستقبل غير واضح أو مظلما إذ تصبح النقود أصلاً أكثر جاذبية من السندات حتى إذا كانت محشوة في مخاديد الفراش) ويقول (ان حيازة النقود تُسّكن قلقنا) ، وسعر الفائدة في رأيه مكافأة لعدم تفضيل السيولة لذلك فان العلاقة بين المتغيرين علاقة عكسية وبذلك يكون الفارق بينه وبين الكلاسيكيين المُحدَثين يدور حول سوق السندات إذ ان أسعار السندات تتباين تبعا للتوازن بين العرض والطلب ومع هذا فان الفائدة المدفوعة مقابل الاحتفاظ بها تظل ثابتة ويمكن توضيح ذلك من خلال المعادلات الآتية:-

سعر الفائدة الحقيقي= $\frac{\text{العائد}}{\text{السعر الاسمي للسند}}$ $i=\frac{R}{P}$

فلوكان لدينا سند بسعر (1000) دولار وبفائدة مقدارها (100) دولار / سنة ؟

$i=\frac{100}{1000}$ = %10

فلو ارتفع سعر السند الى(2000) دولار $i=\frac{100}{2000}$ = % 20

هذا اذا زاد سعر السند أما إذا هبط فسيؤدي ذلك إلى خسارة في قيمة رأس المال قد لا تكون عوائد الفائدة كافية لتغطيتها وهذه النقطة هي مكمن المشكلة إذ ان اسعار السندات كانت شديدة الارتفاع بحيث لا يمكن للأفراد توقع ارتفاعها أكثر وبذلك ومع انخفاض أسعار الفائدة انخفاضاً شديداً أصبح تفضيل السيولة ليس له حدود وهذا ما وسمه صديق (كينز) (روبنسون) بفخ السيولة.

المصدر الأصلي للنقود الفائضة

يرى -كينز- ان النقود الفائضة ظهرتْ إلى الوجود نتيجة الديون التي هي عقود للسداد الآجل وتتراكم بسبب الفاصل الزمني بين إنتاج السلع وتحصيل عوائد بيعها,هذه الفجوة تُسَد عن طريق الإجراءات المصرفية أو إصدار سندات جديدة لتمويل العمليات الإنتاجية الجارية وهكذا يتم خلق النقود داخل نظام المنشآت الخاصة ولما كان النظام المصرفي قائم على الاحتفاظ باحتياطي جزئي (النظام الأمريكي يقوم على أساس النظام

العشري أي الاحتفاظ ب 15% من الوديعة) فان نسبة من الإيداعات المصرفية يمكن إقراضها إلى منشآت أعمال قد تتحول إلى إيداعات جديدة تتولد عنها قروض جديدة وهكذا يتضاعف عرض النقود في السوق، والمصدر الآخر هو التمويل بالعجز عن طريق بيع السندات الحكومية إلى البنك المركزي الذي يستخدمها كغطاء للقروض التي يقدمها إلى البنوك التجارية ويمكن توضيح ذلك من خلال المعادلة الآتية:-

$$M=\frac{\Delta MS}{\Delta H}=\frac{1+C}{r+e+c+r.t}$$

حيث ان:-

M = المضاعف النقدي .

ΔH= التغير بالاحتياطي النقدي.

r = الاحتياطي المبدئي.

e =الاحتياطي تحت الطلب .

c = النقود المحتفظ بها .

r.t = نسبة الودائع لأجل معين .

ويرى (كينز) ان عرض النقود والطلب عليها هما اللذان يحددان سعر الفائدة ، وعلى نقيض النظرية الكلاسيكية لكمية النقود فان التغير في عرض النقود يؤثر على مستويات الأسعار والدخل بصورة غير مباشرة وبتأثير سعر الفائدة ، ومن وجهة (كينز) ان سرعة تداول النقود(V) لم تَعِدْ مستقرة كما إن استدامة ثباتها قَلتْ كثيرا وستتغير مع ترجيح رغبات الجمهورفي تفضيل السيولة لذلك ركز (كينز) على النقود بوصفها احدى المكونات الاساسية للدخل ، والدافع لذلك كان الحاجة لتحريك الاقتصاد مع توقعات متشائمة من خلال تنشيط قطاع الأعمال مع وجود فخ السيولة المزدوج إذ كان المصرفيون لا يرغبون في تقديم أية قروض كما أن سعر الفائدة لن يهبط إلى الصفر فالأفراد لا يتوقعون ارتفاع أسعار السندات أكثر مما هي عليها مما يؤدي الى انخفاض (V) إلى ما دون حد الإفلاس وبذلك لا تبقى سوى الحكومة ملاذا أخيرا قادرة على الانفاق عن طريق بيع ديونها إلى البنك المركزي لتحفيز الطلب الكلي.

ملاحظات ختامية

1-عندما قابل الرئيس الأمريكي روزفلت) عام 1934 لم يترك لديه انطباعا جيدا فوصفه (عالم الرياضيات الواهم) لذلك يقول (جالبرث) (الكينزية) ذهبتْ إلى واشنطن عن طريق جامعة هارفرد.

2-هاجم (كينز) كل أقطاب الاقتصاد الكلاسيكي القديم والحديث ،فقد صب جام غضبه على (ساي) وقانونه وهاجم أستاذه (الفريد مارشال) الذي أقنعه بالتحول من الرياضيات والفلسفة إلى الاقتصاد وهاجم أعمال (بيجو)، كل هذاعلى وفق مخطط ذهني ونزوع برغماتي (انتهازي). يقول في رسالة (هارود) بأنه فعل ذلك لأنه يريد (أن يكون نقده قوياً بدرجة تجبر الكلاسيكيين للرد عليه).

3-يمكن القول ان نظرية (كينز) كانت متداولة بخطوطها العامة ولكن الوسائل والأدوات البلاغية هي التي أكسبتها الشيوع والديمومة التي تعززتْ كثيرا بمساعدة حواريه وتلاميذه في انكلترا والولايات المتحدة فضلا عن اسلوبه في مهاجمة خصومه الفكريين حتى ولو كانوا أساتذة له أو زملاء. كتب إلى (برنادتشو)عام1935 (يجب أن تعرف أنني أنا بنفسي سأكتب كتابا عن النظرية الاقتصادية سيحدث ثورة كبرى ليستْ على الفور ولكن خلال العشر سنوات التالية).

4-لم يكتب (كينز) النظرية العامة حتى يحل الأحاجي والألغاز بل كتبها بدافع الحاجة العاجلة لاحتمال فشل الحكومات في إنهاء البطالة الاجتماعية والحرمان اللذين سيطرا على سنوات العشرينيات والثلاثينيات من القرن العشرين.

المدرسة النقودية

النقودية اتجاه عام في التحليل الاقتصادي ظهر أبان مرحلة خمسينيات القرن العشرين على يد كل من (ميلتون فريدمان وكارل برونو وآلن ميلتزر) . تستند النقودية إلى منطلقات الفلسفة الليبرالية (المبادرة الفردية والحرية الاقتصادية) ويدور اتجاهها التحليلي حول فكرة جوهرية مفادها ان عرض النقود هو المُحَدِد الأساسي للإنتاج والدخل والاستخدام في الأجل القصير والأسعار في الأجل البعيد إذ يرى (فريدمان) رائد هذه المدرسة في النقود صورة من صور الثروة الاجتماعية التي تأخذ أشكالا ثلاثة هي :-

1:- الثروة المالية كالأسهم والسندات .

2:- الثروة العينية كالسلع الإنتاجية والاستهلاكية.

3:- الثروة البشرية التي تتمثل بالمواهب والأفكار .

أما الكمية الحقيقية المطلوبة من النقود فتعتمد في رأيه على ثلاثة عوامل هي:-

1-سعر الفائدة السائد في السوق حيث:

$$dQ=f\left(\frac{1}{i}\right)$$

dQ= الكمية المطلوبة من النقود

i =سعر الفائدة

إذ أن الكمية المطلوبة من النقود ترتبط بعلاقة عكسية مع سعر الفائدة.

2-معدل التضخم المتوقع

$$dQ=f\left(\frac{1}{P}\right)$$

P =معدل التضخم

ذلك لان الاحتفاظ بكمية كبيرة من النقود يزيد من كلفة اكتنازها نتيجة لانخفاض قيمتها الحقيقية .

3-المتغيرات الأخرى الثابتة في الأجل القصير مثل أذواق و تفضيلات أصحاب الثروة ومتغيرات أخرى عشوائية .ويرى النقوديون بأنه عندما يزداد عرض النقود بزيادة البنك المركزي لمشترياته من الأوراق المالية تحصل آثار مضاعفة إذ ترتفع أسعار هذه الأوراق وتنخفض عوائدها مما يضطر الأفراد إلى تغيير تركيب محافظهم الادخارية ببيع كمية أكبر مما يمتلكون من أوراق مالية واكتناز كمية أكبر من النقود السائلة التي يحاولون التخلص منها بشراء الأوراق المالية الرائجة فتزداد أسعار السندات وتنخفض عوائدها ومن ثم تزداد أسعار الأصول الأخرى كالأسهم والعقارات وبزيادة أسعار هذه الأصول يندفع المنتجون إلى التوسع في إنتاجها ويزداد طلبهم على الموارد الإنتاجية وتصبح أسعار الأصول العينية أعلى من أسعار الخدمات، فتأجير سيارة مثلاً لأداء خدمة معينة يصبح أقل كلفة من شرائها عندئذ يزداد الطلب على الخدمات مما يقود إلى ارتفاع أسعارها أيضا وهكذا يرى النقوديون بان زيادة عرض النقود يقود إلى زيادة الإنتاج والاستهلاك في الأجل القصيروإلى زيادة المعدل العام للأسعار في الأجل البعيد، ويرى (فريدمان) بان النمو الاقتصادي في الأجل البعيد يعتمد على العوامل الحقيقية التي هي في رأيه (الادخار وهيكل الصناعة) فالنقوديون يؤكدون بان انخفاض عرض

النقود في عام 1920 بمقدار الثلث كان العامل الحاسم في تفشي الكساد الاقتصادي وبالمقابل فان إتباع سياسة نقدية توسعية قائمة على الإفراط في إصدار النقود الرخيصة بعد الحرب العالمية الثانية أدى إلى ارتفاع المستوى العام للأسعار وتفشي الموجات التضخمية لذلك باعتقادهم يكمن العلاج في استقرار السياسة النقدية وخاصة معدلات نمو عرض النقود بغض النظر عن طبيعة النشاط الاقتصادي السائد وبحدود (3%-5%) سنوياً فلو استبدل نظام الاحتياطي الفيدرالي ببرنامج حاسوبي يوفر معدل نمو ثابت في عرض النقود سينمو الدخل القومي بمعدلات ثابتة على وفق قناعاتهم. ويرتكز النقوديون في تركيزهم على عرض النقود ودوره في تحديد GDPعلى فرضيتين:-

الفرضية الأولى:- استقرار سرعة التداول النقدي وقابليتها للتقدير وهي فكرة استحدثها في الفكر الاقتصادي (الفريد مارشال وفيشر) وسبب الاستقرار باعتقادهم هو ثبات أنماط الدخل والإنفاق، فإذا كان المنتجون يستلمون دخولهم مرة واحدة في الشهر وينفقونها بالتساوي على مدى هذا الشهر فان (V)عندئذ تساوي(12)، وستظل هذه السرعة ثابتة حتى لو تضاعف الدخل القومي وتغيّر نمط الإنفاق الشخصي إلا إذا غيّر رجال الأعمال كيفية الاحتفاظ بموجوداتهم المالية أو طريقة تسوية نفقاتهم الاقتصادية . وبالعودة إلى معادلة (فيشر).(كمية النقود ×سرعة التداول = كمية الإنتاج ×السعر)

MS.V=Q.P

$$V=\frac{Q.P}{MS}$$

$$V=\frac{GNP}{MS}$$

نجد هنا ان عرض النقود هو الذي يُحَدِد معدل نمو الناتج المحلي الإجمالي.

الفرضية الثانية:- إن الطلب على النقود ليس له علاقة مطلقاً بتغيرات سعر الفائدة، ويرى النقوديون بان السوق قادرة على تحقيق التوازن التلقائي اذا تُرِكَت قوانينها تعمل دون تدخل او تقييد ، فإذا شَرعتْ الحكومة بتطبيق سياسة نقدية توسعية لبلوغ مستوى من الاستخدام يستوعب معدل البطالة الطبيعي فان النتيجة ستكون تسارعاً في معدلات التضخم . فالنقوديون لا يعترفون بفخ السيولة الكينزي كما أنهم لا يشاركون الكينزيين قناعتهم بلزوجة الأسعار والأجور بل يعتقدون بمرونتها إذ ان منحنى العرض الكلي على وفق مبادئهم يكون عمودياً تقريبا في الأجلين القصير والطويل بسبب حالة الاستخدام الشامل.

التضخم في نظر النقوديين

يرى النقوديون بان التضخم ظاهرة نقدية بحته تحصل نتيجة الإفراط في إصدار النقود الذي يخلق فائضاً في الطلب على السلع والخدمات مما يؤدي إلى ارتفاع المستوى العام للأسعار. يقول (فريدمان):(ان كل انكماش في الولايات المتحدة الأمريكية نجم عن اضطراب نقدي أو تأثر بشدة بالاضطراب النقدي وان كل تضخم شديد تولد من التوسع النقدي) ، وإذا كان الكينزيون يعتقدون بان سعر الفائدة في اقتصاد ما لم يبلغ مستوى التشغيل الكامل هو دالة لعرض النقود فان النقوديين يرون العكس إذ يرتفع سعر الفائدة ابتدءا ولكن مع زيادة عرض النقود يزداد الطلب على السلع والخدمات ومع هذه الزيادة سيزداد الدخل الكلي فتزداد الكمية الحقيقية من النقود مما يؤدي إلى ارتفاع المستوى العام للأسعار وتنخفض نتيجة لذلك القيمة الحقيقية للمعروض النقدي وبذلك تتحدد الضغوط التنازلية على سعر الفائدة في أقل من سنة وبعد عام أو عامين سيعود سعر الفائدة إلى مستواه الأصلي ومن المحتمل بسبب استجابة الاقتصاد لقوى التغير ان ترتفع معدلات الفائدة فوق المستوى الأصلي ،وعلى وفق (فريدمان) يحصل الشيء نفسه إذا توقع الناس ارتفاع معدلات التضخم في المستقبل مستنداً في ذلك على فرضية فيشر:

سعر الفائدة الاسمي= سعر الفائدة الحقيقي+ معدل التضخم المتوقع

وبما أن معدلات الفائدة ترتفع أولا ثم تنخفض استجابة لزيادة عرض النقود لذلك فان النقوديين يعتقدون بأنها تُعَد مؤشراً هامشياً على عكس ما يعتقد الكينزيون الذين يرون في سعر الفائدة مؤشراً مُهما فانخفاضه يشير الى أن السياسة النقدية توسعية في حين يدل ارتفاعه على أن هذه السياسة تقييدية أو محافظة ويمكن توضيح العلاقة بين المتغيرات الثلاث الأنفة بما يلي:-

سعر الفائدة الحقيقي = سعر الفائدة الاسمي – معدل التضخم المتوقع

معدل التضخم المتوقع = سعر الفائدة الاسمي – سعر الفائدة الحقيقي

فلو افترضنا ان معدل الفائدة 5% وتوقع الناس ارتفاع الأسعار بمعدل 2% عندئذ سيطالبون بعلاوة مقدارها 2% للتعويض عن انخفاض القوة الشرائية وبذلك يصبح معدل الفائدة الاسمي 7% .

تحليل النقوديين لمنحنى فيلبس

يتفق الكينزيون والنقوديون على وجود علاقة بين التضخم والبطالة في الأجل القصير أما في الأجل الطويل فإن علاقة المقايضة ستختفي تماماً بسبب تأثير عامل التوقعات إذ

أن العاملين سيدركون الارتفاعات في المستوى العام للأسعارالمصاحبة لزيادة الإنتاج والاستخدام مما يجعلهم يميلون لأخذها في الاعتبار حين التفاوض مع رجال الأعمال حول أجورهم الحقيقية عندئذ سيتزامن ارتفاع منحنى فليبس مع مستوى أعلى من الأجور والأسعار مما يؤدي لعودة الاستخدام إلى مستواه السابق مع مستوى أسعار وأجور مرتفعين أيضا لذلك يأخذ منحنى فليبس شكل الخط المستقيم العمودي على المحور الأفقي ويصطلح النقوديون على هذه الظاهرة ب (المبدأ التعجيلي).

مدرسة التوقعات

التوقعات متغير كان حاضراً في التحليل الاقتصادي الجزئي والكلي منذ بداية نشوء علم الاقتصاد كما يتجلى ذلك في نظرية سلوك المستهلك وفي تحليل ظاهرة ارتفاع الأسعار فقد كان (آرثر أوكي) رئيس المجلس الاستشاري لإدارة الرئيس الأمريكي جونسون يعتقد بان ارتفاع مستوى الأسعار بنسبة(2%) يقود إلى انخفاض البطالة بنسبة 4 % ولكن ظل هذا التحليل بعيداً عن رؤية أثر المتغيرات العشوائية(تدهور الإنتاج الزراعي,الارتفاع المفاجئ لاسعار بعض المواد الخام كالنفط واحتمال نشوب الحروب) وهذا هو الذي قادَ إلى صياغة نظرية التوقعات العقلانية،ويمكن التمييز بين اتجاهين في هذه المدرسة هما:-

أولا:- نظرية التوقعات الماضوية

يتلخص جوهر هذه النظرية بفكرة بسيطة مفادها ان الأفراد عادةً ما يسترشدون بأحداث الماضي لبناء التوقعات المستقبلية منطلقين من الافتراضات الآتية:-

1- التعاقب الزمني أي التكيف مع الحدث المتوقع عادة ما يحصل بعد وقوعه بفترة زمنية واحدة وهذا ما يوقع أصحاب القرار الاقتصادي بالأخطاء ، فمثلاً يتأخر معدل التضخم المتوقع بفترة واحدة عن معدل التضخم الفعلي ما دامتْ التوقعات تتغير عبر الزمن.

2-ليس هناك من مقايضة دائمة بين التضخم والبطالة لذلك يأخذ منحنى فليبس شكل الخط العمودي على المحور الأفقي في الأجل الطويل وهذا يعني أن حظ أي سياسة توسعية هو الارتفاع في المستوى العام للأسعار مع انعدام إمكانية تخفيض معدل البطالة.

ثانيا:- نظرية التوقعات العقلانية

يعود الفضل في بلورّتها إلى (روبرت لوكاس) من جامعة شيكاغو و (توماس سيرجنت) من جامعة ستان فورد و(روبرت باور) من جامعة هارفرد. كانت نقطة البداية بالنسبة لهم هي تشخيص المآخذ على نظرية التوقعات الماضوية القائلة بان توظيف الأفراد للمعلومات مُستمَدٌ من خبرات الماضي للتنبوء بالمستقبل لان ذلك سلوك يتقاطع مع السلوك الاقتصادي الرشيد فاستقرار معطيات الماضي لوحده يوقع مَنْ يعتمد عليها بأخطاء جسيمة يمكن تجنبها بالاعتماد على المعلومات الكافية عن الظواهر الاقتصادية وسياق تطورها ،هذه المعلومات يبذل الأفراد قدر كبير من الوقت والجهد في جمعها من مصادر متعددة كالوكالات والمؤسسات الرسمية وأجهزة الاعلام حول السياسات المالية والنقدية والدخلية وما ينعكس عنها من آثار على المتغيرات الاقتصادية الأخرى.

مبادئ مدرسة التوقعات العقلانية

ينطلق رواد هذه المدرسة من مجموعة قناعات فكرية نوجزها كالأتي:-

1-عدم جدوى النماذج الكمية في تقويم السياسات الاقتصادية ذلك لأن مَعلَمات هذه النماذج تتغير بانتهاج سياسات بديلة.

2-ليس هناك من مقايضة بين التضخم والبطالة فإذا طبقتْ الحكومة سياسة نقدية توسعية فإن ذلك سيوحي للعمال بارتفاع الأسعار مما يؤدي إلى ارتفاع الأجور والأسعار معاً ولما كانت الأجور هي التي ترتفع أولا فإن معدل البطالة سيظل على حالة.

3-عدم فاعلية استخدام السياستين المالية والنقدية لتحقيق الاستقرار الاقتصادي ذلك لأن القطاع العائلي يتوقع هذه السياسات بسهولةعندئذ سيقتصر تأثيرها على الأجور والأسعار دون أن يمتد إلى المتغيرات الحقيقية لذلك يرى أنصار هذه المدرسة ان الأسلوب الأمثل عدم الاستقرار هو التقليل من عدم اليقين من خلال زيادة عرض النقود بمعدلات ثابتة ، وتؤكد الدراسات التطبيقية وجود تأثير واضح للسياسة النقدية التوسعية على التضخم وأسعار الفائدة ، وتختلف المدرسة النقودية في هذا المجال مع الاتجاه السلوكي الذي يرى أنصاره بأن ارتفاع معدلات الأجور لأي سبب من الأسباب يقود إلى ارتفاع التكاليف ومن ثم المستوى العام للأسعار.